صالح الكيالي

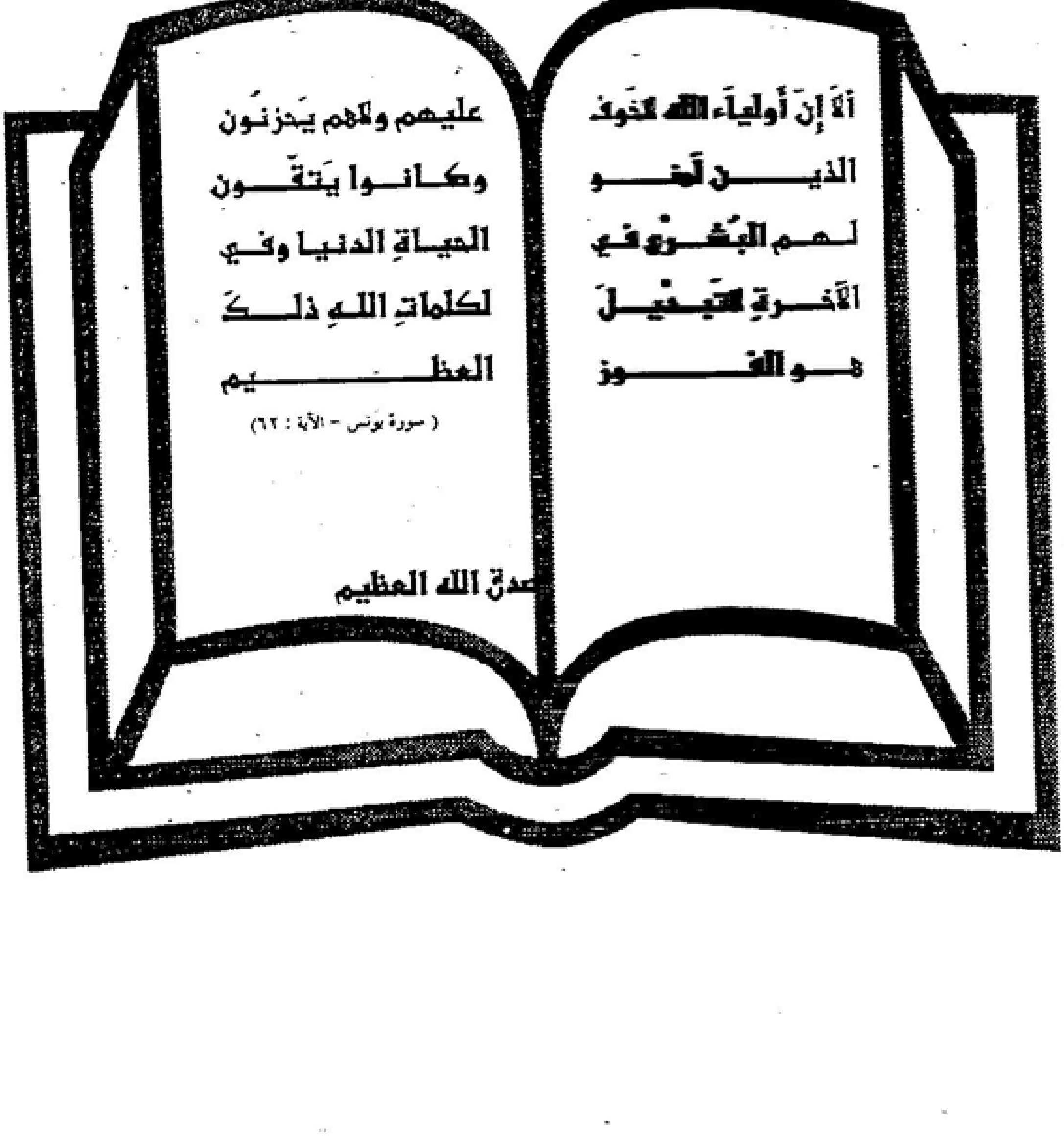
الرسالة الكيالية

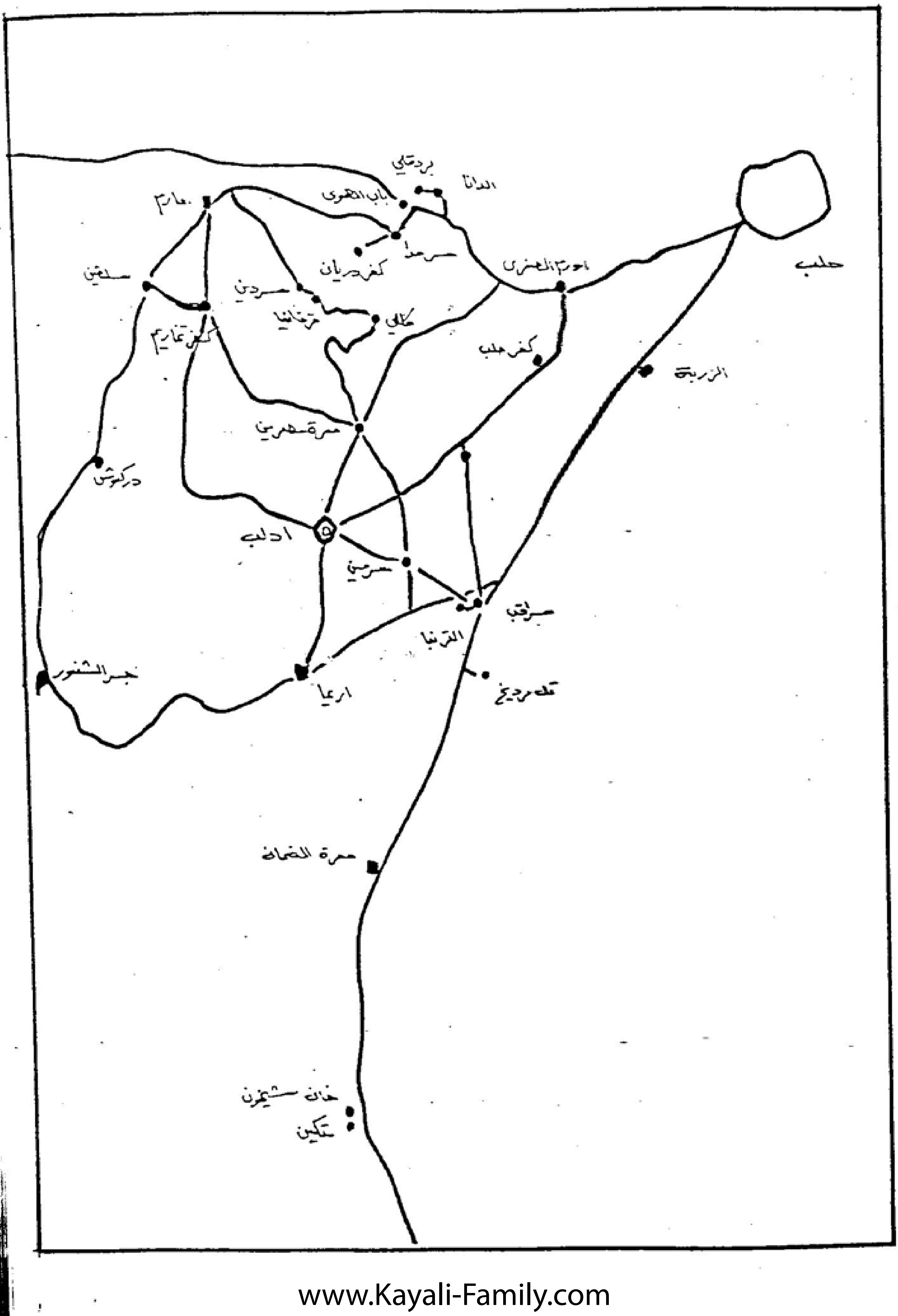
الشيخ اسماعيل الكيالي الرفاعي
الولي العارف بالله
قدس الله سره

٥٧٣ - ٦٨٥ هـ
١١٧٧ - ١٢٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هديّة إلى
سعادة ابن العم الفاضل الأستاذ المهندس
[illegible] الموقر حفظه الله تعالى.
حسّان طاهر كيالي




بردقلي
الدانا
باب الهوى
حارم
سرمدا
كفردريان
سلقين
سرمدين
ترمانين
كفرتخاريم
كللي
الاتارب
كفرحلب
حلب
الزربة
معرة مصرين
دركوش
ادلب
سرمين
سراقب
النيرب
جسر الشغور
اريحا
تل مرديخ
معرة النعمان
خان شيخون
سكيك

منذ أكثر من عشرين عاماً، وأنا أعمل على تحضير بحث يتعلّق بمنشأ الأسرة الكيالية، وأعددت عددا من المراجع والمستندات، فكنت أكتب تارة مستقصياً ومحققاً لما استطعت الحصول عليه، ثم تشغلني أعمالي القضائية الكثيرة، فأترك العمل ردحاً من الزمن، وأعود لمتابعة ماانقطع. وقد حصل لديّ منهج بحث يرافقه كتاب كبير ، يملّ القارىء قراءته. فعمدت الى اختصار وحذف كثير من المواضيع، وأبقيت على خلاصة أعتقد أنها تفي بالغرض ويجد القارىء سهولة في قراءتها. ومع ذلك فقد أشرت بلمحات سريعة وجيزة لعلم التصوف لمّا اقتضاه البحث ، وضربت صفحاً عن عدد كبير من الكرامات الخاصة بالأولياء ، حيث جمع علماء كثيرون منها في كتب متعددة .

كما أشرت بشكل وجيز للحياة العامة والخاصة التي عاشها، وليّ الله جدنا الشيخ اسماعيل، قدس سره، منذ ولادته ونشأته وتفقهه في الدين وتصوفه، حينما كان في (أم عبيدة) ثمّ اثر استقراره في قريته (الترنبا) حيث ظهرت له أنوار بارقة، وكرامات وأحوال خارقة .

وبحثت بشكل وجيز في البيئة التاريخية والجغرافية التي رافقت حياته، والصراعات الدموية في ذلك العهد، لنقف على شيء من الحقيقة التي قصدها شقيقه نجم الدين أحمد الأخضر حينما أذن له بالترحال الى الديار الحلبية، والسبب الدافع، لأستقراره في قرية (الترنبا) إثر زيارته لابن عمه عز الدين أحمد الصياد في قرية (متكين) .

ورغم قلة المراجع، بل وندرتها، والتي أشارت الى الجد اسماعيل، قدس سره، والتحري الدقيق عن الرسالة التي كتبها، قاضي قضاة حلب زين الدين الخليلي، والتي سماها: تحفة الذهب في رحلة الشيخ اسماعيل الكيالي الى حلب، فلم أعثرعليها. ولاندري شيئاً عن ظروفها ودواعيها، ومن الذي هيأ لها ومَهّد أسبابها، والمواضيع التي بُحثت فيها، والعلماء الذين ساهموا بالمشاركة في مناظرتها، والنتائج التي اقترنت بها . اذ ربما كانت تلقي ضوءاً على حياته الخاصة والعامة في مرحلة شيخوخته .

ومع اعترافي بتقصيري في عدم إيفاء هذا الجدّ الجليل حقّه، وهو العارف با لله صاحب كرامة الكيل التي لم يسبقه إليها أحد قبله، و لم يأت بمثلها أحد بعده .

كما لم يسبق - على علمي - أن بحث أحد قبلي في مثل هذه الدراسة المتواضعة، والتي سميتها " الرسالة الكيالية " تخليداً لذكراه، فيضمني تحت لوائه، وأكون خادماً له ولجدّه سيّد المرسلين .

وا لله الكريم أسأل، وبجاه خير خلقه، نبيه محمد (صلعم) أتوسل، أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للفوز في جنات النعيم. وأعوذ با لله العظيم، من شرّ حسودٍ متعسّف، ومتعصب غير منصف أن يبادر بالانتقاد والانكار، وأن يقبل مني الاعتذار . . .

اللهم لاسهَل الاّ ماجعلته سَهلاً، وأنت تجعل الحَزن اذا شئت سَهلاً ، سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

حلب في ٢٩/ ١١ / ١٤١٤ هـ و ١٠ / ٥ / ١٩٩٤م.

المفتقر الى عفو ربه تعالى

محمد صالح الكيالي بن محمد شعيب

القاضي المتقاعد عن وظيفة المحامي

العام الاول في محافظة حلـــــــب

عرض تاريخي

الأسباب البعيدة والقريبة لتأليف كتاب بهجة الحضرتين في آل الأمام أبي العلمين والحاشية عليه

١- شجرة الأسرة الكيالية الرفاعية الموثقة حسب القانون :

إن أول شجرة كبيرة جمعت أفراد الأسرة الكيالية ، هي الشجرة المؤرخة عام (٦٤٠هـ ١٢٤٢م)، والتي نقلت عنها الشجرة الجامعة لأفراد الأسرة، في عام (٩٣٦هـ) و (١٥٢٩م) ، وهي المحفوظة بأيدينا من ذلك العهد الى اليوم .

وتأسيساً عليها نقلت شجرات متعددة النسخ بأدلب سنة (١٣١٢هـ) و (١٨٩٤م)، المذيلة بالحاق الفروع المستحدثة الجامعة لأكثر فروع الأسرة الكيالية في الديار الشامية والحلبية، والمصدقة قديماً وحديثاً، من قبل القضاة والنقباء والأمراء والمفتين ومن سواهم من أهل العلم والتحقيق ، والمسجلة في سجل القاضي الشرعي في إدلب الاستاذ صالح أفندي الصوفي اللاذقي في غرة محرم الحرام سنة : _(١٣١٦ هـ و ١٨٩٨م) تحت رقم (١١٧)، بموجب الإشارة السامية الصادرة عن مقام المشيخة الاسلامية ، والملحقة أيضاً بالضبطة المسجلة صورتها في دائرة العسكرية والنفوس ، الحاوية على فروع السادة الكيالية : سكان حلب وإدلب ،وتوابعهما، ليعمل بمقتضاها في أستثناء هذه العائلة الشريفة ، من الخدمة العسكرية حسب منطوق الارادة السنية السلطانية العامة الصادرة في سنة (١٣١٣ هـ و ١٨٩٥م) والمسجلة صورتها في سجل قاضي إدلب السابق الاستاذ الشيخ نوري أفندي الريحاوي تحت رقم : عدد (١١٢) بتاريخ سنة : (١٣٢١هـ و ١٩٠٣م). (حاشية بهجة الحضرتين ص: ٢٦ و ٦٩).

٢- طبقات السادة الرفاعية :

إن جدنا القطب الجليل الشيخ إسماعيل - قدس سرّه - من الاسرة الرفاعية واشتهر بالكيالي ، بعد كرامة الكيل، ففي أوائل شهر رمضان المعظم سنة : (١٣٠٦هـ و ١٨٨٨م)، طبع الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي كتابه : تنوير الأبصار في طبقات

السادة الرفاعية الأخيار، بمطبعة محمد أفندي مصطفى بمصر، مبتدئاً من الامام المقدم والغوث الأعظم الممتاز بتقبيل يد النبي محمد (صلعم) سيدنا ومولانا السيد أحمد الرفاعي ، (ر)، ثم بطبقات الأسرة الرفاعية . وتعرض للسادة الكيالية ، حين بحثه عن السيدة فاطمة بنت السيد أحمد الرفاعي (ر) وذكر أن السيد أحمد الرفاعي ، قد زوجها بابن أخته وابن ابن عمه ، شيخ وقته قطب الزمان وليّ الرحمن (علي) مهذب الدولة ابن عثمان ، وحجب جدنا القطب إسماعيل عن أمه (فاطمة) وألحقه (بنفيسة الزوجة الثانية (لعلي) مهذب الدولة ، إثر موت (فاطمة)، مع أن (فاطمة) أعقبت له ثلاثة أولاد ذكوراً ، وبنتاً واحدة وهم : أبو اسحاق السيد ابراهيم الاعزب والسيد نجم الدين أحمد الاخضر ، والسيد الشيخ إسماعيل المعروف بالكيال (دفين قرية (الترنبا) من أعمال ادلب ، والسيدة خديجة. وتوفيت أمهم و لم تخلف غيرهم . فتزوج (علي) مهذب الدولة ، بعدها ، بالسيدة نفيسة ، بنت محمد بن القاسمية، واعقبت له اولاداً. (وهذا هو الصحيح) .

الا أ أن ابا الهدى الصيادي، ذكر في مؤلفه تنوير الأبصار، أن جدنا الشيخ اسماعيل، هو من زوجته (نفيسة القاسمية)، وليس بابن للسيدة فاطمة بنت أبي العلمين السيد أحمد الرفاعي، نقلاً عن كتب لم يشر إليها، ولاإلى مصادرها. و لم يطلّع على الشجرة الاصلية الرفاعية التي نقلها صاحب روح الاكسير، الشيخ حسن الواسطي، وكتاب النفحة المسكية، للإمام عز الدين احمد الفاروثي الواسطي، وقد أشار كل من مؤلفيهما، الواسطي والفاروثي، إلى أن السيدة (فاطمة) والدة القطب جدنا إسماعيل قد توفيت وعمر جدنا سنتان ، فربته مع أخته خديجة والتي كان عمرها سنة واحدة ، السيدة نفيسة زوجة أبيهما ، وكثيراً مايقولان لها ياأماه. ولذلك وقع أكثر المؤرخين في الظن خطأ، بأنهما ولدا نفيسة المذكورة .

٣- *تصحيح الخطأ وظروفه :*

في عام : (١٣١١هـ و ١٨٩٣م)، سافر الشيخ الاستاذ محمد طاهر بن الشيخ عبد القادر الملاّ الكيالي الرفاعي، خادم السجادة العلية الصيادية الرفاعية بادلب ونقيب أشرافها فيما بعد ، الى استنبول. واجتمع مع الشيخ ابي الهدى الصيادي في ثلاثة بقين من شهر ربيع الثاني سنة (١٣١١هـ)، وكان قد نظم الشيخ ابي الهدى، قصيدة في

مدح شيخه: محمد مهدي الرواس الصيادي الرفاعي الشيوخي البصري، ويبدو أن أبا الهدى، طلب من الاستاذ الشيخ طاهر (ر) شرح القصيدة والتي مطلعها :

لي في العراق إمام ضاء فرقده　　　ومهبط الملأ العلوي مرقده

وتقع في (٢٧) بيتاً .

ورأى الاستاذ الشيخ طاهر الفرصة مناسبة ، فضمن الشرح الردّ على الخطأ الذي وقع فيه ابو الهدى ، من كون السيد إسماعيل جدنا هو ابن نفيسة القاسمية بدلاً من كونه ابن (فاطمة) ذات النور بنت القطب أحمد الرفاعي الكبير، وذلك باسلوب لطيف وعبارات رقيقة جداً، بعيدة عن الغمز واللمز، بل أبدع حينما قال :... وقد علمت أن ذلك وهم وقع فيه بعض المؤرخين المتقدمين ، وحاشا لله أن يكون السيد السند نسّابة الزمان وحبل العرفان ، شيخنا الناظم مطلعاً على كتاب روح الاكسير وينقل خلافه. وبالجملة فالسهو جائز حتى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام. وفي عام : ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م طبع الاستاذ الشيخ طاهر المنلا الكيالي، شرح القصيدة المشار اليها، في مصر (١٢)، واطّلع ابو الهدى الصيادي على ماورد فيها، فعمد إلى تصحيح الخطأ ، في كتابه: بهجة الحضرتين .

٤- كتاب بهجة الحضرتين في آل الامام أبي العلمين :

وفي عام : (١٣٢٣هـ و ١٩٠٥م) كتب أبو الهدى رسالة في أصول البيت الأحمدي أي في أصول القطب السيد أحمد الرفاعي الكبير، و فروعه، وأشار في مقدمتها بما يلي: وقد سألني بعض أعيان السادة الأحمدية ، فضلاء القادة الرفاعية أن أكتب رسالة ألخّص فيها أصول البيت الاحمدي الاطهر، ليعرف ان يلحق كل فرع بأصله الأنور، فان فروع البيت الرفاعي قد كثرت، ونجوم أفراده في سماء الشرف الفاطمي قد ازدانت وازدهرت، فأجبته خدمة لذلك البيت المعمور والشرف الطاهر المبرور وكتبت هذه الرسالة النيرة البهية والقلادة السنية الجوهرية وسميتها (بهجةالحضرتين في آل الإمام أبي العلمين) أسأل الله أن يجعلها عصام كمال لينتفع بها كل محب للآل وكفى با لله ولياً....

ويقول في نهاية الرسالة : والى هنا انتهى بنا القلم فيما اوردناه وتمت بقلم مؤلفها عفي عنه في اليوم السادس من شهر رجب من السنة الثالثة والعشرين والثلاثمائة والالف من الهجرة النبوية على صاحبها أتم الصلاة والتحية .

١٣٢٣هـ ، وبتوقيع : أبو الهدى .(ص:٦٦، طبع مطبعة النهضة العربية في حلب ، والناشر عبد الودود الكيالي، ولم يذكر تاريخ الطبع).

٥- *الاعتذار عن الخطأ :*

وقصد أبو الهدى من رسالته هذه، الاعتذار عن الخطأ الذي وقع فيه بنسبة جدنا إسماعيل، قدس سره، إلى نفيسة دون أمه الحقيقية فاطمة بنت القطب السيد أحمد الرفاعي حيث يقول ... وقد وقفت على عدة كتب لم أكن قد رأيتها من قبل ، منها: روح الاكسير للامام المجمع على فضله الشيخ أبي الحسن الواسطي، وعقود اللآلي للامام أبي بكر الانصاري، وكلها ترجمت القطب السيد إسماعيل الكيالي الرفاعي الكبير ، وذكرت نسبه الشريف من طريق أبيه السيد العظيم المقام (علي) مهذب الدولة الرفاعي (ر)إلى النبي محمد (صلعم). وصرح سيدنا الجد الأمجد السيد شمس الدين محمد الصيادي الرفاعي (ر): بأن السيد إسماعيل الكيال الكبير، والسيد نجم الدين أحمد، والسيد إبراهيم الاعزب (ر) هم أولاد السيدة (فاطمة) ذات النور بنت الغوث الاكبر السيد أحمد الرفاعي، رضي الله عنهم أجمعين. وقد وافق كل ما وقفت عليه من الاسانيد الشريفة والكتب المنيفة التي تطابق المتواتر المشهور، في أمر النسب العالي ، الكيالي واتصاله بالامام الرفاعي، لما كنت قد حررته وجنحت اليه وقلت به في تنوير الابصار، بعد الأخذ والرد، مع من لم أذكر اسمه، فانه غلط بنفسه، وأدخل بكثرة أقواله العارية عن العلم ، عليّ، بل على نفس النسب المشار اليه الغلط ...

٦- ***تقريظ الشيخ كامل آل محي الدين الكيالي الرفاعي الادلبي صاحب (الحاشية) على كتاب (بهجة الحضرتين)، كما هو وارد ومحرر على نسخة المؤلف الاصلية :***

وقد اطلّعَ السادة الكيالية على (بهجة الحضرتين) قبل طبعها، حيث قرّظها الشيخ كامل الكيالي الادلبي ، بقصيدة من (٢٥) بيتاً، جاء في مطلعها :

ذا كتاب قد تسامى | بالبهـا شمس النهار
وأشار فيها الى اعتذار أبي الهدى بقوله :

موضحاً مشكل سهو | خطه بالاضطـــرار
مذعنا للحق جهـــراً | والى الـــحق يصار
وحلا الغامض فيهـا | مع بديع الاختصار
وعن (التنوير) فيمـا | قـال أبدي الاعتذار
فغدت دوحة مجـــد | أينعـت فيها الثمار

ويشير الشيخ كامل الى تاريخ نسخها، وليس لتـاريخ طباعتهـا، لأن النسـخ في اللغـة النقل، ونسخ الكتاب: نقله واكتبه حرفاً بحرف .

ولهذا يشير بقوله :

قلت لمّا تمّ نسخـــــــاً | بيراع الاعتبار
تزدهي (البهجة) أرّخ | أبداً بالافتخار
٨ ١٣١٥ سنة: ١٣٢٣هـ و ١٩٠٥م

٧- *التصديق على (البهجة) وتسجيلها في المحاكم الشرعية :*

ولكي تكتسـب (البهجة) الصفة الشرعية والقانونيـة ، تبعاً للتشـريع المعمـول بـه، في زمن الحكومة العثمانية، فقد تمّت الاجراءات القانونية التالية :

أولاً – تصديق قـاضي شـرعي الخطيب السيد محمد عطـاء الله الـدردري الدمشـقي ، النـائب الشرعي بمركز قضاءإدلب، في غرة ربيع الاول الانـور عـام (١٣٢٦ هــ و ١٩٠٨ م) . (ص: ٦٩ و ٧٠، البهجة).

ثانياً – تصديق قاضي شـرعي إدلب: السيد ذو الفقـار، على نسـب السبط الأشهر الشيخ إسماعيل الكيال، في غرة محرم الحرام سنة : ١٣٣٢ هـ و ١٩١٣م . (ص: ٧١) .

٨- *طباعة بهجة الحضرتين والحاشية عليها :*

اجتمع ثلاثة من كبار اساتذة ومشايخ الأسـرة الكياليـة، في العشـر الاخير مـن ربيـع الأول الأنور، عام : ١٣٤٤ هــ و ١٩٢٢م، في حجرة مدير المدرسـة الخسـروية في حلب، وهم السادة الأفاضل الأجلاء: عبـد الحميـد الطيار الكيـالي (ومفـتي حلـب بعدئذ) واسحاق الجوادي الكيالي وكامل الكيـالي الادلبي، وكلفـوا الشـيخ كـامل ، بوضع حاشية على كتاب البهجة تتمة للفروع الجديدة من الأسرة الكياليـة، والـتي لم

يشر اليها، في شجرات الأسرة القديمة. وقد أوضح القصد من الحاشية بقوله (إنني لم أقصد في هذه الحاشية المختصرة اظهار المجد والشرف تباهياً وافتخاراً، انما قصدت بها أن تكون سبباً لتعارف الناشئة الجديدة ، وداعياً لصلة الرحم المطلوب شرعاً، تبركاً وتيمناً بقوله (صلعم): تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم، فان صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال، منسأة في الأثر... إلى أن قال : وهذا ماتيسر لي جمعه على هذه النية ، وإنما الاعمال بالنيات. تحريراً في غاية ربيع الأول الأنور عام : ١٣٤١ هـ و ١٩٢٢م .

وبعد مراجعته من قبل الجميع ، تكفّل بطبعه الشيخ الاستاذ عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة العصرية في حلب ، وتمت الطباعة في مطبعة النهضة العربية في حلب ، عام : ١٣٤٢ هـ و ١٩٢٣م، على الارجح، لانه لم يذكر في الكتاب المطبوع تاريخ الطبع (ص:٥٤، البهجة) .

لقد حفظ لنا هؤلاء السادة الأجلاء الافاضل نسبنا مطبوعاً، وقد مضى على طباعته سبعون عاماً ونيفٌ، وقد تكاثرت أعداد كبيرة من الاسرة الكيالية وقام بعضهم، مشكورين في اعادة طباعة النسب باكمله وتوزيعه، مع اضافة الفروع الجديدة على أصول (الشجرة) القديمة، في ذكر الاصول والفروع .

٩- دراسة جديدة للنسب على طريقة الطبقات :

وقد قام بهذه الدراسة الجديدة للنسب، ابن عمنا الاستاذ زهير بن عبد الودود الكيالي، متبعاً طريقة حسابية دقيقة، حيث حقق في صحة الانساب والقرابات والفروع الجامعة للاسرة الكيالية في الديار الحلبية، مستنداً الى وثائق يعود تاريخها الى مائة عام أو أكثر. اثر جهود عدة سنين في التحقيق والتدقيق وأثبتها في رُقُم ، بحيث يتألف الرَّقيم الواحد، من مقطع أو اكثر. وقد يشتمل الفرع الواحد على جزء من مقطع أو اكثر، حسب عدد افراد الذرية .

وأنجز الرقيم الاول، في شهر رمضان الماضي عام (١٤١٣ هـ) ويتضمن الفروع التي ثبتت له أصولها، والمذكورة في (البهجة). ويتابع انجاز ماتبقى .

جزاه الله عنا خير الجزاء، وبارك الله فيه، وله الشكر الجزيل على ماقدمه وسعى اليه

الفصل الثاني
علم الأنساب

النسب : نسب القرابات وهو واحد الأنساب ، والّنسبة والنُّسبة والنسب : القرابة وقيل هو في الآباء خاصة . وناسبه مناسبَة : ماثلة وشاكلة ولائمة : شاركه في – النسب وكان قريبه . وانتسب واستُنسب : ذكر نسبه، ويقال للرجل اذا سئل عن نسبه استنسب لنا، أي انتسب لنا حتى نعرفك . ونسبتُ فلاناً الى أبيه، أنسُبه وأنسِبه – نَسْباً اذا رفعت في نسبه الى جده الأكبر . (١).

والنسب إما على عمود النسب وهو ما كان بين الآباء والأبناء ، وإما ماكان بين الإخوة وبني الأعمام ، واصطلح بعضهم تسمية الأول (النسب بالطول) وتسمية الثاني (النسب بالعرض) .

وقال رسول الله (صلعم) : تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر .

والرحم : الرحمة والرقة والتعطف . والرحمة عند العرب : رقة القلب وعطفه، ورحمة الله : عطفه، وإحسانه ورزقه. وذوو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب (٢) .

وفي الحديث : إن الرحم شِجْنَة (٣) معلّقة بالعرش تقول : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني. والمقصود بصلة الرحم أن يراعي المرء حرمة القرابة بالتودد الى الأقارب وأن يحب الخير لهم ويعطف عليهم ويساعد المحتاجين منهم ويأخذ بأيديهم في الملمات ويتفقدهم ويزورهم بعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم، ويسأل عنهم حين غيابهم ويهتم بستر مساويهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويساعدهم بكل ماتيسر من الوجوه الخيرية من غير قصد المكافأة حتى لو حصلت القطيعة من جانبهم . فالصلة هي أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، ممن جمعك وإياه جامعة رحم، وليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي قطعت رحمه فوصلها .

وليس علم الانساب (٤) وقفاً على المسلمين والشرقيين فحسب. بل اهتمت الأمم الغربية على أختلاف طبقات مجتمعاتها بتدوين أفراد أسرها مشجرة ، وكثير منها من يفاخر بحسبه ونسبه. وحفظاً للنسب من الضياع ، او التدليس أو التزوير فيه، فقد

وضعت تشريعات حفظت الحقوق لأصحابها من مثل هذه الافعال صيانة لها من الدخلاء والغرباء .

وأصبح هذا العلم في عصرنا الحاضر ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري والحادي والعشرين الميلادي، علماً فنياً تطبيقياً يقوم على أسس سليمة في الاحصاء حيث نقل الى عالم الكمبيوتر (COMPUTER) وأضحى من يريد معرفة درجة القرابة أن يضغط على زر من أزرار هذه الآلة ليظفر بالمراد .

٢- وجوب معرفة علم الأنساب

وجب معرفة علم الأنساب بما ورد في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة. قال الله تبارك وتعالى في التنزيل العزيز (**إنما المؤمنون إخوة**)(٥) وقال رسول الله (صلعم) : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وقال (صلعم) : والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه .
وعلى ماتقدم فقد ربط الاسلام المسلمين برباط الأخوة ، وبيّن أن للمسلم على المسلم حقوقاً ذكرها الرسول الأعظم (صلعم) ، في الحديث الشريف : حق المسلم على المسلم خمس :

١- رد السلام .
٢- عيادة المريض
٣- اتباع الجنائز
٤- اجابة الدعوة
٥- تشميت العاطس

وخصّ الاسلام حقوق الرحم : مادية ومعنوية . فالمادية هي : النفقة عليهم في حالة فقرهم ومدّ يَدِ المعونة اليهم. والمعنوية هي : عيادتهم إذا مرضوا ،وزيارتهم في الاعياد والمواسم الدينية والدنيوية وتفقد أحوالهم وإسداء النصح لهم، وأن يحفظهم في الغيب ويتواضع لهم ويصون عرضهم ومالهم ويواسيهم اذا اصيبوا ويشاركهم في المسرات .

فاذا كان هذا رباط الأخوة العام بين المسلمين ، فكيف بمن يجمعهم نسب واحد ، وأصل واحد ، وهو رباط الأخوة الخاص

وعلى هذا الاساس من التعاون المادي والمعنوي : وجب معرفة علم الانساب .

٣- صلة الرحم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية

قال تعالى في كتابه العزيز : **(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)** . (٦)

وجاء في التنزيل العزيز : **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** .(٧)

وقال تبارك وتعالى في النهي عن الطعن في الأنساب الثابتة، في ظاهر الشرع : **ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا.** (٨)

وقال النبي (صلعم) : من سره أن يبسط له في رزقه ، وينسأ (٩) له في أثره ، فليصل رحمه .

وقال عليه الصلاة والسلام : اثنان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت.

٤- فائدة علم الأنساب

لايخفي أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والمعارف الدينية وفوائد هذا العلم كثيرة، منها العلم بنسب النبي (صلعم) وهو القرشي الهاشمي ولد بمكة وهاجر إلى المدينة المنورة ، والوقوف على معرفة أبيه وأمه وذريته ، ولايعذر مسلم في جهله ذلك .

ومنها التعارف بين الناس ، حتى لاينتمي أحد الى غير آبائه ولاينتسب الى سوى أجداده، وقد جاء في التنزيل العزيز بقوله تعالى : ﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾ وقد ورد في تفسير الامامين خلقناكم من ذكر وانثى : آدم وحواء . وجعلناكم شعوباً ، جمع شَعب ، بفتح الشين وهو أعلى طبقات النسب . وقبائل : هي دون الشعوب ، وبعدها العمائر ، ثم البطون ثم الافخاذ ، ثم الفصائل آخرها . مثاله : خذيمة : شعب ، كنانة : قبيلة ،

قريش : عمارة، قصي : بطن ، هاشم : فخذ ، العباس : فصيلة . لتعارفوا : حذف منه احدى التاءين ، ليعرف بعضكم بعضاً ، لا لتفاخروا بعلو النسب ، وانما الفخر بالتقوى. (١٠) ومن فوائده أيضاً معرفة أحكام الإرث وأبواب الحجب ومعرفة أحكام الأولياء في النكاح فيقدم بعضهم على بعض . وكذلك في معرفة أحكام الوقف اذا خص الواقف بعض الأقارب ، أو بعض الطبقات دون بعض. ومنها مراعاة النسب الشريف في المرأة المتزوجة وهو ماثبت عن النبي (صلعم) : لاتنكح المرأة إلالأربع : لدينها وحسبها ومالها وجمالها ... فراعى (صلعم) في المرأة الحسب والشرف في الآباء .

ويقوم المجتمع على علم الأنساب ، لما له من فوائد كثيرة ، ولولا معرفة الأنساب لغاب إدراك كثير من الأمور الدينية والدنيوية وتعذر الوصول إلى معرفة بعض الأحكام الشرعية .

ولايخفى أن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة . ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام ومافوق ذلك مستغنى عنه. اذ النسب أمر وهمي لاحقيقة له ، فاذا كان ظاهراً واضحاً حمل النفوس على طبيعتها من النعرة واذا كان غير واضح وانما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل به مجاناً ومن اعمال اللهو المنهي عنه . ومن هذا الاعتبار قولهم النسب علم لاينفع وجهالة لاتضر ، بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ ، وا لله سبحانه وتعالى أعلم . (١١)

ومما ورد في أقوال القطب الغوث أحمد الرفاعي : وبويعت في الحضرة على عدم النظر الى الآباء والأجداد ، فان المفاخرة بهم من طباع أهل الشرك والغلو بهم من بقايا نخوة الجاهلية . ومن طلب الحق علت همته عن التقيد بأب وأم وخال وعم ..

وعدم النظر الى الآباء والاجداد لايفيد عدم برهم وحبهم وإعظام شأنهم كما أراد ا لله تعالى لهم ، بل نحن بمعرفة حقوقهم مأمورون وعلى ادائها مأجورون وبترك التفاخر بهم مكلفون . (١٢)

الفصل الثالث
الولي اسماعيل الكيالي الرفاعي

اسمه وكنيته : اسماعيل الرفاعي .

شهرته : اشتهر بالكيالي بعد كرامة الكيل .

ولادته : ولد في أم عبيدة، يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة (٥٧٣) هـ بحياة جده لأمه السيد أحمد الرفاعي الكبير . وبزمن الخليفة المستضيء بأمر الله ابو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله .

نسبه لأبيه : والده : السيد عليّ، ولقب تكريمه (علي مهذب الدولة)(١٣)

نسبه لأمه : والدته : السيدة فاطمة ذات النور ،(١٤) بنت القطب السيد أحمد الرفاعي الكبير ، توفيت وعمره سنتان . وهو الولد الثالث منها قبل أخته خديجة. وبعد وفاتها تزوج والده السيدة نفيسة بنت محمد بن القاسمية .

نسبه لأجداده : السادة : اسماعيل بن علي بن سيف الدين عثمان بن حسن بن محمد عسلة بن علي الحازم بن أحمد بن علي بن رفاعة الحسن المكي (نزيل اشبيلية بالمغرب) بن المهدي بن أبي القاسم محمد بن ابي الحسن (رئيس بغداد) بن الحسين عبد الرحمن الرضي المحدث بن أحمد الصالح الاكبر بن موسى الثاني أبي سبحة بن ابراهيم المرتضى بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين علي بن الامام الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

مذهبه : المذهب الشافعي

طريقته : الطريقة الاحمدية الرفاعية .

مباركة جده : لما ولد جدنا اسماعيل ، أتى به والده الى حضرة جده ، الغوث الرفاعي ، فدعا له ، ونفخ في فمه ، وقال له : نور جذبك يفيض على أهل المشرق والمغرب ، اللهم بارك فيه وفي ذريته .

كرامته : كرامة الكيل .

مناقبه : كثيرة ، وسنأتي على ذكر بعضها .

زواجه : تزوج واعقب عدة أولاد ، والمعقبون منهم أربعة ، السادة : أحمد وعمر وعلي وصالح . ولهم ذراري كبيرة . أما أحمد اكبر أولاده فقد ساح على قدم التجريد وطاف عراق العجم ثم انتهى الى (بلخ) واقام بها ، ونشر الطريقة العلية الاحمدية ، وتزوج بها ، واعقب اولاداً ، وتوفي فيها ، وله ضريح عظيم يزار ويتبرك به . (١٥)

أخوته : السادة : أبا اسحاق محي الدين ابراهيم الاعزب (ولقب تكريمه نظام الدولة) ونجم الدين أحمد الاخضر (ولقب تكريمه حسام الدولة) ، (من فاطمة) ، وعثمان (من نفيسة) .

أخواته : خديجة (من فاطمة) ، وعائشة وزينب وفاطمة (من نفيسة) .

اعمامه : عبد الرحيم بن عثمان، (ولقب تكريمه ممهد الدولة) وزوجته، السيدة (زينب بنت القطب السيد أحمد الرفاعي الكبير) ، وعمه عبد السلام .

أولاد عمه : عز الدين أحمد الصياد وأولاده : علي أبو شباك (دفين مصر) ، وصدر الدين علي ، وشمس الدين محمد وموسى الكبير وأحمد أبو بكر وعبد الرحيم . وقد ذكرتهم لما لبعضهم من علاقة وصلة بالجد اسماعيل ، كما سنرى فيما بعد .

وفاته : في الترنبا سنة (٦٨٥) هـ ، وله من العمر (١١٢) سنة ، وله في القرية المذكورة ضريح يزار ويتبرك به . ووفاته بزمن نائب السلطان في حلب ، المملوك شمس الدين قراسنقر المنصوري .

وقد أرّخ وفاته الشيخ زين الدين الشافعي الخليلي قاضي حلب ، فقال :

قد مات أستاذ الرجال وقطبهم	شبل الرفاعي من حوى التكميلا
داعي القضا أرخه قام منادياً	للسيد الكيال اسميلا .
١٤١ ١٠٦	١٣٤ ٩٢ ٢١٢

كما ألّف بهِ وبمناقبه الشيخ الخليلي المذكور ، رسالة اسمها : تحفة الذهب في رحلة الشيخ اسماعيل الكيال الرفاعي الى حلب . وفيها قال فيه العدواني شاعر واسط ، من قصيدة له :

يا ابن ذات النور فاطمة التي	عن أبيها المجد يروي والتقى
حزت فضلاً قد تسامي ذكره	في البرايا وسناه اشرقا
والاماني ساعدت علياك ان	صرت شيخاً في الطريق فائقاً .

ومنها قوله:

كيلك الفياض واف بره ملأ البر كسحب غدقاً

(بهجة الحضرتين ، الحاشية ، ص : ١٧ و ١٨) .

١ - نشأته وحياته :

لم يتوفر لي من المصادر التاريخية ، رغم التحري الدقيق ، معلومات عن نشأة الجد اسماعيل في بداية حياته , وانما الوقائع تؤيد بأنه ولد في أم عبيدة ، وهي قرية قريبة من البصرة وواسط (١٦) ، ودرس على مشايخها ، وحضر مجالس الذكر فيها ، وأخذ بنصيب وافر في الفقه الشافعي وفي التصوف وعلم الطريقة ، ولبس الخرقة الرفاعية عن أبيه وجده. وتكمل على يد أخيه شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة القطب الأمجد السيد نجم الدين أحمد الملقب بالاخضر (١٧)، وكان هذا من الفقهاء الاجلاء والمتصوفة العظماء، علماً من العلماء ، قطب الدوائر سلطان الشيوخ الاكابر ، سيد العارفين في زمنه . (١٨) .

وقد اشتهر بالجذب من صغره ، وتولهً في الله ، مُهيماً في حب الله ، وصار شيخاً عارفاً بالله ، وتفقه (١٩) على مذهب الشافعي ، وأصبح عارفاً بالكتاب والسنة ، عالماً بالاصول الفقهية والاحكام الشرعية . ويضاف الى ذلك الفتح الرباني الذي شمله وأحاط به ، ببركة جده السيد أحمد الرفاعي ، فقام بهذه المعارف اللدنية والفتوحات الالهية خير قيام .

وقد تحقق أخوه نجم الدين أحمد ، من تمكّنه من العلوم ، حتى أذن له بالترحال الى الديار الحلبية . وهي إشارة إلهية لانعلم ماتنطوي عليه وماهي الغاية منها ومما لاشك فيه ، أن تلقّي هذه العلوم الصعبة والشائكة والمعقدة فقهاً وشريعة وأصولاً وكلاماً ، والتكمل في مواضيعها المختلفة ، وأصول تحقيقها المتباينة والاحاطة بها ، يستغرق ردحاً من الزمن أضحى فيه الجد اسماعيل شيخاً (٢٠) أي أنه في هذا الوصف قد أتمّ الخمسين من عمره ، أوربما كان قد تجاوزها ،وهي نقطة هامة جداً في حياة الجد ، وتحول كبير في مجرى حياته ، كما سنرى ذلك في التحقيق المتعلق بهذا الموضوع إثر الاذن بترحاله الى الديار الحلبية .

ولابد من ترجمة وجيزة لوالده وأخويه لبيان علوّ مكانتهم ورفعة منزلتهم العلمية والدينية والاجتماعية ، لنتعرف على الاسرة التي نشأ وترعرع وتعلم فيها .

فوالده : علي بن سيف الدين عثمان ، ولقب تكريمه (مهذب الدولة) ، وأمه هي السيدة : ست النسب أخت سيدنا أحمد الرفاعي الكبير .

وصار شيخ الرواق بعد خاله . وقال له خاله في مرض موته ، أي علي : أنت شيخ الرفاعية من الشيخ منصور الى أن ينفخ في الصور .:(تنوير الابصار ، ص : ٣٠)

وكان - قدس سره - قد أجرى الله الحكمة على لسانه ، وأنبع عيون الفطنة في قلبه، وكان قوياً في الله ، متمكناً بأمر الله ، ماخالف امره أحد الاقتله الله وكان له غيرة عربية ، وهمة عالية ، وهيبة عجيبة ، وسطوة غريبة ، لايقدر أحد يقابله لخشيته ولا أن يدانيه لهيبته ، ولايخالفه مع تواضعه ورأفته واحسانه ولطافته ... له قلب رحماني وسر روحاني ... ويظهر الكرامات ويقول : اظهار الكرامات يزيد في يقين المريد ... (كتاب ربيع العاشقين : للشيخ علي ابو الحسن بن جمال الدين الحدادي ، خطيب قونية) و(كتاب مناقب الصالحين ، للامام الوتري) وتوفي سنة اربع وثمانين وخمسمائة ، وحمل الى أم عبيدة ودفن الى جانب خاله السيد أحمد الرفاعي الكبير .

وأخوه : محي الدين أبو اسحاق السيد ابراهيم الاعزب ، ولقب تكريمه : نظام الدولة. قال الحدادي في ربيع العاشقين ، عن السيد ابراهيم الاعزب ... كان علم العارفين وصدر المحققين وغوث الزمان وقطب الاوان ...

وذكر صاحب كتاب " بحر الانساب " ... واتفق أجلةّ العصر أجمعون على تفرد ابراهيم في عصره ، عظمة المشايخ ، وانقاد لخدمته جحفل الصوفية ، وخضع لديه العلماء واعترف بعزته ومكانته الملوك والامراء ، وعقد له النسابون واصحاب الطبقات التراجم الجليلة ... وقال جمّ من أهل الصدق فيه انه مارفع رأسه الى السماء اربعين سنة . (الامام مؤيد الدين ابو النظام عبيد الله ابن الاعرج الحسيني ، نقيب واسط) .

ولد عام ست واربعين وخمسمائة (٥٤٦) هـ. وتوفي بام عبيدة ، سنة تسع وستمائة (٦٠٩) هـ. : التنوير ، ص : ٣٥).
وقبره هناك ظاهر يزار ، رضي الله عنه .

وأخوه : نجم الدين أحمد الاخضر : ولقب تكريمه (حسام الدولة) . كان خلفاً لاؤلئك السلف ، ونعم الخلف ، وكان صاحب زمانه بلا ريب، وأورع أهل وقته ... (ربيع العاشقين) . وكرامات سيدنا نجم الدين أحمد ، رضي الله عنه ، لاتعد ولاتحصى .
وقال الخدادي : توفي الشيخ الكبير العالم العارف ، قدوة الطوائف ، صاحب الفتوة والاشارات والكرامات الظاهرات ، العابد القانت ، رداد الفائت ، نجم الدين ابو العباس ، سيدي أحمد بن علي ، قدس روحه ونور ضريحه :
يوم الاحد سابع عشر شعبان ، سنة خمس واربعين وستمائة (٦٤٥) هـ. ودفن في مشهدهم أمام الجامع برواق تقي الدين ، رضوان الله عليه وعلى ذريته .(التنوير ، ص : ٤١ - ٤٣)

ففي هذا البيت الجليل ، وفي هذه المدرسة الروحانية ، ولد الجد اسماعيل وتربى ودرس وتعلم وتفقه . فورث من والده كراماته ، ومن اخويه تلقى دروس الفقه والتصوف ، وقد كملت صفاته ، واصبح بعد ذلك عارفاً بالله ، ووليا من أولياء الله ، قدس سره ، ونوّر ضريحه .

٢- علم التصوف :

قال صاحب روح الاكسير : (٢١)
لقد نشأ الشيخ اسماعيل عارفاً بالله ، زاهداً في دنياه ، وتفقه على مذهب الشافعي وأخذ التصوف وعلم الطريقة ، وظهرت له أنوار بارقة وكرامات خارقة ...
وقال أيضاً : هو صاحب الكرامات الظاهرة والاحوال الغريبة الزاهرة ....

وأرى أن أقف وقفة عند علم التصوف ، لاصل من هذه اللمحة السريعة ، الى علم الطريقة ، ومنها الى الاحوال الخارقة والكرامات الظاهرة ، وتلك الأنوار البراقة اذ لابد لكل نتيجة من أسباب ومسببات .

هذا وان الكثيرين مـن الفلاسـفة وأصحـاب الاختصـاص ، قـد بحثـوا هـذا الموضـوع بالتفصيل وأشبعوه بحثاً واستنتاجاً . ولكن لابد من عرض سريع للتذكير ، للوصـول الى الغاية المنشودة .

تعريف علم التصوف :

قال القشيري رحمه الله : ولايشهد لهذا الاسـم اشـتقاق مـن جهـة العربيـة ولاقيـاس. والظاهر أنه لقب . ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القيـاس اللغوي . قال : وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه . (٢٢).

و لم أجد لهـذه الكلمـة أصـل في لسـان العـرب لابـن منظـور . إلاأن صـاحب منجـد الطلاب يقول : الصوفية : فئة من المتعبدين ، واحدهم (الصوفي) وهو عندهـم : من كان فانياً بنفسه ، باقياً بالله تعالى ، مستخلصاً من الطبائع متصلاً بحقيقـة الحقـائق . (٢٣) .

وقال العلامة ابن خلدون : ... والاظهر أن ما قيل بالاشـتقاق ، أنـه مـن الصـوف . وهم في الغالب مختصـون بلبسـه . (٢٤). في حين أن كبـير أقطـاب الصوفيـة ، أبـو الحسن الشاذلي ، لبس أفخر الثياب ، وكان يركب الفاره من الدواب ، ويتخذ الخيل الجيـادة (٢٥). مسـتنداً لقولـه تعـالى (قـل مـن حـرّم زينـة الله الـتي أخـرج لعبـاده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (٢٦).

فظهر أن أصل طريقتهم كلها : محاسبة النفـس علـى الافعـال والـتروك ، والكـلام في هذه الاذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاماً ويـترقى منهـا الى غيرها ، ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تـدور بينهـم . فلما كتبت العلوم ودونت ، وألفّ الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك ، كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقتهم ، فمنهم مـن كتـب في الـورع ومحاسبة النفس على الاقتـداء في الأخـذ والـترك ، كمـا فعلـه القشـيري في الرسـالة ، والسهروردي في كتاب : عوارف المعارف ، وأمثالهم .

وجمع الغزالي رحمه الله بين الأمرين في كتاب الاحياء ، فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء ، ثم بيّن آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف علماً مدوناً ، بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط . وكانت أحكامها انما تتلقّى من صدور الرجال ، كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والاصول وغير ذلك . (٢٧) .

وعلى هذه المجاهدة والخلوة والذكر والانقطاع بالكلية الى الذات الألهية تنكشف الحجب وتقوى أحوال الروح وتنمو وتزيد ، فيصبح المرء شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس، الذي لها من ذاتها ، وهو عين الادراك . فيتعرض للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الألهي ، وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى : أفق الملائكة . وهذا الكشف كثيراً مايعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود مالايدرك سواهم . وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ، ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية ، وتصير طوع لإرادتهم . وكان الصحابة ، رضي الله عنهم ، على مثل هذه المجاهدة .

ويمكن القول : إن التصوف: تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية ، وقال : رُوَيمْ (٢٨) بتعريف جميل : هو استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد . فالتصوف : (١) تصفية للنفس كوسيلة . (٢) وقرب ومشاهدة كغاية. فهو يتضمن الوسيلة والغاية ، أو الطريقة والحقيقة . (٢٩) .

وعلى هذا ، فالاحسان ، لغة فعل ماينبغي أن يفعل من الخير . وعرفاً: هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة ، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح . (٣٠) .

ويرى المتصوفة في الاسلام ، أن طريق الحق طويل المدى وعر المسالك . وقلّ من الناس من يبلغ نهايته ، اذ لابد لهذه الغاية من رياضة شاقة تقوم بها النفس لعبور (مقامات معينة) والتمرس بالحالات التي تطابقها . فالمقامات مراحل يمر بها السالك من مقام الى آخر ، كما يقطع المسافر مراحل طريقه . وقد اختلف المتصوفة في عدد هذه المقامات ، وتبلغ عند الطوسي سبعة وهي : التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضى . وعلى هذه الصفات الروحانية ينتقل الى درجة الولاية . (٣١) .

٣- الولي :

وهو العارف با لله تعالى وبصفاته . المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي . ويسمى ولياً لأن ا لله تعالى تولى أمره فلم يكله الى نفسه ولا الى غيره لحظة ولانه يتولى عبادة ا لله على الدوام من غير أن يتخللها عصيان .

وقال غوث الثقلين سيدي أحمد الرفاعي أبي العلمين رضي ا لله عنه : الولاية أجل المعاريج وأعظم المقامات بعد النبوة . ولايصل العبد الى مقام الولاية الكاملة إلاأذا كمل عقله ، وعلت همته وصح صدقه وتم اتباعه في الأقوال والافعال للنبي (صلعم) ، لأن مرتبة الولاية ينوب صاحبها عن النبي في الأمة . والاولياء ثابت وجودهم بالنص والتواتر والعقل بلادفاع . وكونهم على درجات معلوم بالكتاب والسنة . ورئيسهم وأعظمهم المقدم فيهم ، هو الذي يسمونه الجماعة بالقطب الغوث على أنه عمود رحاهم الذي يدور أمرهم عليه ، ونيابته عن رسول ا لله (صلعم) في ملك ا لله هي الوراثة المعنية بخبر العلماء ورثة الانبياء ، اذ مامن وليّ إلا وهو على قدم نبيّ (٣٢) .

فللأولياء الصالحين عند الصوفية حكومة ، أو حكومة باطن ، عليها (في اعتقادهم) يتوقف نظام العالم . ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى (القطب) وهو أرفع متصوفي عصره ودون هذا القطب درجات مختلفة من الأولياء . أولهم النقباء الثلاثة ، فالاوتاد الأربعة ومجموعهم سبعة ، ومن بعدهم الابرار السبعة ثم يليهم الابدال الاربعون ، وأخيراً الاخيار الثلاثمائة ، كل ذلك في تشكيل هرمي يعلوه : القطب . (٣٣)

ومن علامات الولي أربعة أشياء : صيانة سره بينه وبين ا لله عز وجل ، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر ا لله تعالى ، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق ا لله تعالى ، ومداراته للخلق على قدر تفاوت عقولهم .

وأركان الوصل بين العبد وبين ا لله تعالى ثلاثة : الاستغاثة والجهد والأدب . فمن العبد الاستغاثة ومن ا لله عز وجل القربة . ومن العبد الجهد ومن ا لله عز وجل التوفيق ، ومن العبد الادب و من الله عز وجل الكرامة .

ومن تأدب بآداب الاولياء صلح لبساط القربة . ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة . ومن تأدب بآداب الانبياء ، عليهم السلام صلح لبساط الأنس والانبساط . واذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبها فأدبها ، وما ركن أحد الى نفسه إلالزمه تعب القلب . ومنه المقامات كلها تبع للقلب ، والقلب واقف مع الله عز وجل . وحكم المبتدي أن يهتدي بالحقائق ويسير بالعلم ويجهد في العمل .

٤- مقامات المقربين وخواص الخواص :

ومن مقامات المقربين أن يرفع الحجب بين القلوب وبين علامّ الغيوب ، ومن ركب النهاية في بدايته كان ذلك علماً على قربه. فقوم شهدوا الداعي وقوم شهدوا النداء ، وقوم شهدوا البلاء . فمن سمع النداء سار الى الجنة ، ومن شهد البلاء انتهى الى الدرجات ، ومن شهد الداعي ، صار الى الله عز وجل وهم : خواص الخواص الذين لايحجبون عن الله عز وجل طرفة عين . أولئك عباد ربطوا قلوبهم بأزمة التيقظ ، ورعى عزمهم عز وجل عن الفتور ، وحرس نياتهم عن طوارق الاعتلال ، وقطع لرادتهم عن التطلع الى غيره وأظمأ قلوبهم من الاشتياق الى رؤيته ، وأيقظ عقولهم في حكم صنعته ، وأطلع أفئدتهم على قرب مراقبته ، وتجول أرواحهم بين نسائم صفاته : قد أدناهم احتاء من أنس به ، وناجاهم مناجاة من أمنه ، وفاوضهم مفاوضة من ارتضاه لسره ، سيماهم الحياء في حال الادناء ، رضي الله عنهم . (٣٤) .

٥- معنى الطريقة والشريعة والحقيقة :

الشريعة أمر بالتزام العبودية . والحقيقة مشاهدة الربوبية . ومشاهدة الربوبية أي رؤيتها بالقلب ، ويعبّر عن ذلك بأن الشريعة : معرفة السلوك الى الله تعالى . والحقيقة دوام النظر اليه . والطريقة : سلوك طريق الشريعة ، أي العمل بمقتضاها .

وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فأمرها غير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فأمرها غير محصول .

والشريعة جاءت بتكليف من الخالق ، والحقيقة أنباء عن تصريف الحق . فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده . والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر . سمعت أبا علي الدقاق رحمه الله يقول (اياك نعبد) حفظ للشريعة، و(اياك نستعين) اقرار بالحقيقة .

واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره ، والحقيقة أيضاً شريعة ، من حيث أن المعارف (٣٥) به سبحانه أيضاً وجبت بأمره . (٣٦) .

الفصل الرابع
الكرامات

ان الكثير من المثقفين في العصر الحاضر ينكرون الكرامات ويرون أنها بعيدة عن التصديق . وينادون بأنكارها ، بل ويسخرون في وضوح أو في همسات أو في لمزات بكل من يروي كرامة لولي .

وهذا فهم على نقيض اتباع الأولياء الذين يحاولون الاشادة بذكرهم ، ويروون عنهم الكرامات الكثيرة ، فيصادف ذلك قبولاً وارتياحاً عند السامعين ونفوراً واعراضاً عند الآخرين . وإن هذا الاستعلاء مرده الى الجهل في معرفة حقيقة هذه الكرامات . (لأن ماجاز أن يكون معجزة لنبي ، جاز أن يكون كرامة لولي) .

فالتنزيل العزيز يحدثنا في وضوح لالبس فيه عن المعجزات التي تفضل الله بها على رسله وأنبيائه . كما يحدثنا عن الكرامات التي منحها الله سبحانه وتعالى ، جلت عظمته لأوليائه وأصفيائه .

لقد حدثنا القرآن الكريم عن معجزات سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، بأنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً ، بإذن الله . وأنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله .

قال تعالى : **(ورسولاً الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وبما تدخرون في بيوتكم ،ان في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين)** . سورة آل عمران – آية : ٤٩ .

ويحدثنا التنزيل العزيز عن سيدنا موسى عليه السلام حينما ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى . قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هي حية تسعى . سورة طه – الآية : ١٩ و ٢٠ . واذا هي تلقف مايأفكون .وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا ، انما صنعوا كيد ساحر – سورة طه : الآية : ٦٩ . وأنه أخرج يده فاذا هي بيضاء للناظرين . واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . سورة طه – الآية : (٢٢).

ثم إن مانسميه قوانين الطبيعة ، إنما هـو في الواقـع (عـادات الطبيعـة) وخرقهـا غـير مستحيل عقلاً ولايترتب عليه مستحيل . وعادات الطبيعة لاتسيطر على رب الطبيعة (٣٧) .

وسيدتنا مريم ألم تحمل بسيدنا عيسى عليه السلام من غير أب خارقـة بذلـك قوانـين الطبيعة . وكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . قال يامريم أنىّ لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . سورة آل عمران – الآية : ٣٧ . وقوله سبحانه وتعالى : **(وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً)** . سورة مريم . الآية : ٢٥ .

وهناك كرامات وردت في السنة الشريفة ، ومنها حديث الغار . قـال رسـول الله (صلعم) انطلق ثلاثة رجال ممن كان قبلكم فآواهم المبيت الى غار فدخلـوه فـانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا والله لاينجينا مـن هـذه الصخـرة الآن ندعو الله بصالح أعمالنا .

فقال أحدهم : كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنـت لاأغبـق (٣٨) قبلهمـا أهـلاً ولامالاً فعاقني طلب يوماً ، فلم أرح لهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهمـا فجئتهمـا به فوجدتهما نائمين ، فتحرجـت أن أوقظهمـا وكرهـت أن أغبـق قبلهمـا ، فقمـت والقدح بيدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهـم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا مانحن فيه . فانفرجت الصخرة انفراجاً لايستطيعون الخروج منه .

وقال الثاني : اللهم لقد كانت لي ابنة عم ، كانت أحـب النـاس اليّ ، فراودتهـا عـن نفسـها فامتنعت . حتى ألمت بها سنة مَن السنين ، فجاءتني فاعطيتهـا مائـة وعشـرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسـها ، ففعلـت ، حتـى اذا قـدرت عليهـا ، قـالت : لايحل لك أن تفض الخاتم الابحقه . فتحرجت مـن الوقـوع عليهـا ، وانصرفـت عنهـا وهي أحب الناس اليّ وتركت المال الذي اعطيتها اياه . اللهم ان كنـت فعلـت ذلـك إبتغاء وجهك فأفرج عنا مانحن فيـه . فـانفرجت الصخـرة ، غـير أنهـم لايسـتطيعون الخروج منها .

ثم قال الثالث : اللهم أني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ، ترك وذهب ، فثمّرت أجره . فجاءني بعد حين فقال : ياعبد الله أدّ إليّ أجرتي ، فقلت له : ان أجرتك هي كل ماترى من الابل والغنم والبقر والرقيق . فقال ياعبد الله لاتستهزىء بي ، فقلت اني لاأستهزىء بك ، ورويت له القصة ، فأخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيئاً . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فأفرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة ، فخرجوا من الغار يمشون . (٣٩) .

وأن هؤلاء الاقطاب أو أصحاب الكرامات ، والتي تجري على أيديهم ، لاينسبونها لأنفسهم وانما ينسبونها الى رب الارباب ، صاحب القدرة والقوة والقهر وهو على كل شي قدير .

أليست قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام ، التي قصها التنزيل العزيز في سورة الكهف من القرآن العظيم ، والمشاهد الرائعة والكرامات الباهرة التي لم يستطع سيدنا موسى عليه السلام - كليم الله - الصبر والسكوت عنها حتى افترق كل عن صاحبه . وانتهى سيدنا الخضر مخاطباً سيدنا موسى عليه السلام : وما فعلته عن أمري ، ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبراً . سورة الكهف - الآيات : ٦٦ - ٨٢ .

وكما نرى بأن ماظهر على يدي الخضر عليه السلام ، وهي أمور مناقضة للعادة ، اختص الخضر بها ، ولم يكن نبياً ، انما كان ولياً .

ومن دلائل ذلك نص القرآن الكريم ، في قصة صاحب النبي سليمان عليه السلام حيث قال : **(قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده ، قال هذا من فضل ربي .)** سورة النمل . الآية : ٤٠ .
وصاحب سليمان هو آصف بن برخيا ، كان صدّيقاً يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعا به أجاب واذا سئل به أعطى . وقال المفسرون أن آصف خاطب سيدنا سليمان عليه السلام قائلاً له أنظر الى السماء فنظر اليها ثم ردّ بطرفه فوجد عرش بلقيس ملكة سبأ موضوعاً بين يديه ، ففي نظره الى السماء دعا آصف بالأسم الاعظم ان

يأتي الله به فحصل بأن جرى تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان . (٤٠) . ولم يكن آصف نبياً .

وقد كان الصحابة ، رضي الله عنهم ، على مثل هذه المجاهدة الروحية ، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ . وفي الصحيح أن رسول الله (صلعم) قال : ان فيكم محدثين وأن منهم عمر . وقد وقع للصحابة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو على منبر المسجد في المدينة المنورة موجهاً الكلام الى سارية بن زنيم (٤١) حيث كان يفتح بلاد فارس سنة (٢٣) هـ قاطعاً خطبة يوم الجمعة صائحاً : ياسارية الجبل الجبل ، أي الزم الجبل واصعده ففي ذلك نجاتك من اعدائك الذين أحاطوا بك ، بعد أن همّ بالانهزام ، وسمعه سارية وهو بمكانه ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ... ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء ...

١- كرامات الأقطاب :

وكرامات الاقطاب الأربعة السادة : أحمد الرفاعي وعبد القادر الجيلي وأحمد البدوي وابراهيم الدسوقي ، رضي الله عنهم لاتقع تحت حصر . ولامجال لسردها ، ومن أراد الزيادة فعليه بمراجعة هذه المواضيع في مظانها . (٤٢). وترى العجب العجاب من كرامات هؤلاء الاقطاب .

وكرامة القطب أبي الحسن الشاذلي (٤٣) حينما قلب الرصاص ذهباً خالصاً وهاجا وأرسله هدية لسلطان مصر محمد بن قلاوون ، وقد أتهمه أهل عصره بالزندقة وانه يضرب الزغل (٤٤) وهو كيموي ، وحذروا الناس من مجالسته ، حتى نزل السلطان لزيارته في الاسكندرية وأضمر في نفسه أن يعلمه الكيمياء ، فعرف الشيخ قصده وعلم نيته وخاطبه قائلاً : كيمياؤنا التقوى فاتق الله يعلمك حرف : كن .(٤٥).

وهذا ابن الفارض (٤٦) سلطان العاشقين يقول : ... ودخلت مكة ثم شرعت في السياحة في أوديتها وجبالها وكنت أستأنس بالوحوش ليلاً ونهاراً . وأقمت بواد بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجدّ ، وكنت آتي منه كل يوم وليلة وأصليّ في الحرم

الشريف الصلوات الخمس . وكان يصحبه في ذهابه وايابه سبع عظيم الخلقة ، ينخ له كما ينخ الجمل (٤٧) ويقول له : ياسيدي اركب ، فما ركبه قط . وقد تحدث بعض كبار المشايخ المجاورين في الحرم ، في تجهيز دابة يركبها ابن الفارض ، فظهر لهم السبع عند باب الحرم وقال له : ياسيدي اركب . (٤٨) .

وظهرت كرامة الكيل ، لجدنا القطب اسماعيل ، قدس سره ، في واقعتين متصلتين تتمم كل واحدة الاخرى :

الأولى : سيلان القمح متدفقاً من الخلايا الفارغة .

الثانية : قيام الكيل من تلقاء نفسه بتملئة القمح وتفريغه في اوعية طالبيه ، دون وسيط ، كما سنوضح ذلك بالتفصيل فيما بعد .

وهذه هي الكرامة التي أشار اليها سيدنا أحمد الرفاعي الكبير مخاطباً والده السيد علي مهذب الدولة بقوله : أبشرك بولد يملأ ذكره الارض ويشتهر (بكرامة) خصه الله بها دون اخوته وبني عمه ، ماسبقه بها أحد ولاتصدر لغيره الى يوم القيامة وهي كرامة الكيل واشتهاره بها شرقاً وغرباً ، وهي كرامة عظيمة ماسبقه بها أحد قبله ولابعده . ثم أنه لما ولد ، قدس سره ، أتى به والده الى حضرة جده الغوث الرفاعي ، فدعا له ونفخ في فيه ، وقال له : نور جذبك يفيض على أهل المشرق والمغرب اللهم بارك فيه وفي ذريته . (٤٩) .

وبفضل هذا الدعاء ، ظهرت لجدنا القطب اسماعيل ، قدس سره ، أنوار بارقة وكرامات وأحوال خارقة ونشر أعلام الطريقة ، وأخذ عليه الجم الغفير من أكابر حلب واعيانها وتلك النواحي ، وخدمه الصلحاء ، وتقصده الناس من الديار الشامية والاقطار البعيدة تلتمس من بركاته ، رضي الله عنه وأرضاه . حتى صار شيخاً عارفاً بالله زاهداً في دنياه منكباً على العبادة والخلوة ، لايتكلم بكلام الدنيا الاعند الحاجة والاضطرار، لايفتر لسانه عن ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله (صلعم) (٥٠). فأصبح ولياً من أولياء الله الصالحين .

٢- الكرامات ومعجزات الرسل :

فان قيل : كيف يجوز اظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل ؟ وهل يجوز تفضيل الاولياء على الانبياء عليهم السلام ؟ قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا (صلعم)، لأن كل من ليس بصادق في الاسلام لاتظهر عليه الكرامة .

وكل نبي ظهرت كرامته على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته . اذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على يد من تابعه الكرامة . فاما رتبة الاولياء فلا تبلغ رتبة الانبياء عليهم السلام للاجماع المنعقد على ذلك .

وقد سئل أبو يزيد البسطامي (٥١) عن هذه المسألة فقال : مثل ماحصل للانبياء عليهم السلام ، كمثل زق فيه عسل ، ترشح منه قطرة ، فتلك القطرة مثل ماالجميع الاولياء ، وما في الظرف مثل مالنبينا (صلعم) (٥٢)

أليس الحديث القدسي الذي رواه امام المحدثين ، أبو عبد الله البخاري ، وهو : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلعم) فيما يرويه عن ربه :
(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحب لي مما افترضت عليه . ومايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه . فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . ولئن سألني أعطيته ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه.) هو خير مقال في هذا المجال .

وأترك تفصيل كرامة الكيل ، ووقائعها وظروفها ، والتحقيق الذي أجريته لفصل خاص ، بعد أن أوضح الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تحيط بحياة الجد اسماعيل - قدس سرة - في قرية (الترنبا).والاسباب البعيدة والقريبة ، لإظهار وتبيان هذه الكرامة العظيمة التي تستحق الاجلال والتعظيم لهذا القطب الجليل ، رضي الله عنه وأرضاه .
فكرامة الكيل ليست بمجرد واقعة عابرة ، فهي ذات مغزى عميق ، اضافة الى نتائج باهرة خارقة للعادة ، لأن عظمة النتيجة دلالة على عظيم السبب وبالتالي على هول الموضوع المسبب لها . فهي بارقة عجيبة لم يسبقها سابق و لم يلحق بها لاحق .

هذا المشهد الرباني الروحي الذي تتجلىّ فيه القدرة الألهية بأعمال وأفعال ونتائج خارقة للعادة على مشهد من الناس ومرأى من عساكر السلطان ، لأبلغ دليل مادي ومعنوي على كرامة الولي القطب الجليل والعلم الطويل جدنا الغوث اسماعيل – قدس سره .

٣-*كرامات الاولياء في الحياة وبعد الممات :*

وكرامات الاولياء ثابتة الوقوع في الحياة وبعد الممات ، لأن هؤلاء الموتى من الصالحين بعد انسلاخهم من الصفات البشرية ، وأنقطاع علائقهم عن الدنيا الدنية ، وارتياحهم بلقاء الله تعالى المستوجب لهم السعادة السرمدية ، أفيضت عليهم أنوار الحضرة القيومية ، حتى أوضحت لهم كل خفية ، ورفعت عنهم الحجب والثرى والمسافة القصية .

وقال الامام حجة الاسلام محمد الغزآلي : من يُتوسل ويتبرك به في حياته ، يتوسل ويتبرك به بعد موته .

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني – قدس سره – أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي حوائج الناس .

وأجاب الامام العالم العلامة شيخ مشايخ الاسلام مصطفى العزيزي بقوله : كرامات الاولياء ثابته واقعة بالفعل في حياتهم وبعد موتهم ، بالاخبار الصحيحة التي بلغت في افادة العلم مبلغ اليقين ، حتى صار المستفاد منها ، شبيهاً بالعلم الضروري الذي انتفت عنه الشكوك والاوهام ، فلايرتاب ولايشك في ذلك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر .

(طي السجل – محمد مهدي الصيادي الشهير بالرواس – تحقيق : عبد الحكيم عبد الباسط السقباني الدمشقي – ص : ٢٨٠ – ٢٨١ – ٢٨٤ – ٣٠٦ – ٣٠٧ الطبعة الاولى ، سنة : ١٣٩١ هـ)

وذكر استاذنا العالم العلامة الشيخ طاهر الملا الكيالي الرفاعي (ر) : أن الملائكة تتنزل على اولياء الله سبحانه ، بعد انتقالهم ، لقوله : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون (سورة فصلت ، الأية :٣٠).

وقال الرازي : تتنزل عليهم الملائكة في مواطن ثلاثة : عند الموت وفي القبر وعند البعث . (الفريدة الدرية : ص: ٦)

الفصل الخامس
الأرتحـــال

ان الأشارات في ارتحال الاولياء أو الاصفياء عن مواطنهم والسكن والاستقرار في مواطن بعيدة أخرى نائية ، حيث لامعارف ولاقرابة ، ولانسب ولامصاهرة ، ولاعصبية ولاقبلية ، أمور تستدعي التأمل والتقصي لدى أول وهلة . ولكن مايقف العقل عن التفكير والمنطق عن التبرير إنما هي في الحقيقة والواقع تدابير أزلية قدرتها العناية الألهية ، لأسرار خفية لاندرك حقيقتها ولانستطيع الغوص في أعماقها ، لقصور عقولنا عن ادراكها . ولهذا نأخذ بظاهر الأمور والله - جلت عظمته - يعلم مافي السرائر ، وهو يعلم الغيب وأخفى ، ولانعلم الحكمة الربانية من وراء الاوامر التي يقدرها رب العزة . فهي ولاشك نعمة كبرى يفيض علينا بها من كرمه واحسانه ، جل جلاله في سبيل خيرنا وسعادتنا .

ان استقرار جدنا حيث أمر في قرية (الترنبا)، يكشف لنا ظاهر الامر ، أنه أعقب هذا النسل الكريم الذي بارك الله فيه ، وأخبرنا عنه ، جده القطب الغوث السيد **أحمد الكبير الرفاعي** ، حين أتى به والده اثر ولادته ، الى حضرة جده الغوث أحمد الرفاعي ، فدعا له ونفخ في فمه وقال له : (نورجذبك يفيض على أهل المشرق والمغرب ، اللهم بارك فيه وفي ذريته .) فأثرت دعوة جده ، بأن جعله الله مجذوباً من صغره عن الدنيا .

أم كان استقراره حيث أمر انقاذا لأهل قريته الضعفاء البؤساء مما كان سينالهم من سوء العذاب ، في حالة عدم تلبية أوامر السلطان وجنوده من تقديم مايترتب عليهم دفعه من ضرائب لدولة الاقطاع ؟ أم هنالك أموراً غيبية أخرى لاندركها ، ولانعلم أسرارها ؟

وعلى كل حال ، وبعد أن أصبح جدنا القطب اسماعيل شيخاً فقيهاً عالماً بأسرار الشريعة وعلوم الحقيقة ، وتخرج من مدرسة أخيه نجم الدين الاخضر ، ونجح في دراساته وعلومه ، أذن له في الترحال الى الديار الحلبية . (٥٣)

وفي واقع الحال أن هذا الاذن هو الاشارة بالترحال ، بل هو أمر لابدّ من تلبيته وتنفيذه دون أعتراض أو جدال ، فعليه الانقياد والانصياع لما أمر به . وعليه الاستعداد للرحيل ، ومعه من الاسرار الألهية والبوارق الربانية خير هدى وعرفان ونور يستضيء به .والانتقال في ذلك الزمان لم يكن يسيراً مطلقاً ، بل جهداً وكفاحاً

مريراً للنفس والجسد . والترحل من بيداء مقفرة لاأنيس ولاجليس ولامؤونة ولازاد فيها ، واحتياز الجبال والسهول ، ومن أودية الى مفازات ... تتطلب جميعها صبراً ومعاناة لاتذللها إلاالتقوى ، فهي الرياضة الروحية المثلى .

لقد ترحل ليخلو الى الله، ولتصفو نفسه فوق صفائها في هذه البيد المقفرة الموحشة، ويلقي بكيانه كله في الرحاب الألهي مستسلماً أسلم القيادات باجمعها : حساً ونفساً وعقلاً وروحاً وقلباً الى من بيده الامر وهو الذي يهديه ويرشده الى سواء السبيل .

اشارات مماثلة لأقطاب آخرين :

و لم ينفرد الشيخ الجليل الجد اسماعيل بهذه الاشارة في الترحال بمفرده دون غيره تاركاً وطنه واخوته وأهله المقربين . فقد أرسلت اشارات ربانية لغيره من الاقطاب . وعلى سبيل المثال ، لاالحصر : سأسرد اشارتين لكل من القطبين : الشاذلي وابن الفارض ، اثباتاً للقسمة الازلية التي أمر بها رب الارباب .

الأولى : الاشارة التي أمر بها الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش ، شيخ الشيخ ابي الحسن الشاذلي (٥٤) رضي الله عنهما ، حيثما رسم ابن مشيش حياة أبي الحسن فيما يستقبله من أيام قائلاً : ياعليّ ، ارتحل الى أفريقية واسكن بها بلداً تسمى بشاذلة (٥٥) فان الله عز وجل يسميك (بالشاذلي) ثم تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل الى أرض المشرق وبها ترث القطابة (٥٦).

الثانية : رحلة ابن الفارض بأمر من شيخه ، من وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم ... حتى كان ذلك اليوم الذي يحدثنا هو عنه : بأنه حضر فيه من السياحة إلى القاهرة ودخل المدرسة السيوفية ، فوجد شيخاً بقالاًعلى بابها يتوضأ وضوءاً غير مرتب ، فاعترض عليه ابن الفارض : بأن هذا الوضوء مناف لقواعد الشرع !

وهنا نظر الشيخ الى ابن الفارض وقال له : ياعمر : أنت مايفتح عليه في مصر ، وأنما يفتح عليك بالحجاز في مكة شرفها الله ، فاقصدها فقد آن لك وقت الفتح . فدهش

ابن الفارض من هذا القول ، ورد على الشيخ بأن الامد بينه وبين مكة بعيد . وأنه لايجد ركباً ولارفقة في غير أشهر الحج . قال الشيخ وهو يشير : (هذه مكة أمامك) . قال ابن الفارض : فنظرت معه فرأيت مكة شرفها الله تعالى فتركته وطلبتها، فلم تبرح أمامي الى أن دخلتها في ذلك الوقت . وجاءني الفتح حين دخلتها فترادف و لم ينقطع ، ثم شرعت في السياحة في أودية مكة وجبالها وكنت أستأنس بالوحوش ليلاً ونهاراً . وأقمت بواد بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المُجِدّ ، وكنت آتي منه كل يوم وليلة وأصليّ في الحرم الشريف الصلوات الخمس (٥٧) وكان يصحبه في ذهابه وإيابه سبع عظيم الخلقة ، ينخ له كما ينخ الجمل ويقول له : ياسيدي اركب فما ركبه قط . وقد تحدث بعض كبار المشائخ المجاورين في الحرم في تجهيز دابة يركبها ابن الفارض ، فظهر لهم السبع عند باب الحرم ، وقال له : ياسيدي اركب ! (٥٨).

الفصل السادس
الطريق الى الديار الحلبية

ليس لدي من الوثائق مايفيد بالطريق التي اتبعها الجد اسماعيل واسرته بالتوجه الى الديار الحلبية . ولكن طريق القوافل معروف منذ زمن بعيد ، بين بغداد ودمشق . وكيف كان سير القوافل في هذه البوادي والقفار الموحشة ، حيث تستعمل الدواب للركوب وحمل الامتعة ، وقد انتشرت على طول الطريق خانات خاصة لنزول المسافرين أشبه بالفنادق في عصرنا الحاضر . وقد تطول المدة الزمنية وتقصر تبعاً للاحوال الجوية والظروف القاسية في كثير من الحالات والتي كانت ترافق القوافل . وكان لابد من الوصول الى الديار الشامية ، واتباع الطريق التي تتجه شمالاً الى الديار الحلبية ، وهي طريق القوافل التي تسير باتجاه الحجاز وهي قوافل الحجيج .

١- الوصول الى قرية : متكين : (٥٩)

ومن دمشق وباتجاه نحو الشمال ، يتابع الركب ترحاله ، حيث طريق القوافل التجارية معروف ومألوف ، الى حمص فحماه ، ثم الى قرية متكين ، والتي يقيم فيها ابن عمه ، القطب عز الدين أحمد الصياد ، والذي اتخذ متكين مقراً له ولخلفائه من بعده، وهو الذي أشار اليه بأن يكون مقره قرية (الترنبا) وهي على مسافة قريبة منه ، والى الشمال من قريته ، وبالقرب من سرمين .

٢- الاستقرار في قرية : الترنبا :

ليس لدينا من الوثائق التاريخية مايبين لنا ماكانت عليه قرية (الترنبا) سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً . ولكنها بحكم موقعها في سهول خصبة خضراء ، وسط غابات من الاشجار المثمرة والممتدة من المعرة الى سراقب وسرمين وادلب وأريحا وجبل الزاوية ، ذات مناخ معتدل ، يقيها جبل الزاوية الرياح الباردة ، ويصفو أديم سمائها من صفاء روح الجد اسماعيل وهذه هي القسمة الازلية له – قدس سره – فاستقر فيها ، وكانت موطن أنواره البارقة ، وعجائبه الخارقة وكراماته الفائقة . وفي قرية الترنبا وقعت كرامة الكيل ، واشتهر بها وسمي بالكيال ، مع أنه حينما قدم اليها يحمل كنية الرفاعي ، وهي كنية والده وأجداده . وكل عقبه المنتسبين اليه ومن ذريته ، هم من الاسرة الكيالية الرفاعية .

ولنا وقفة عند اسم (الترنبا) . فقد ضبطها الشيخ كامل الغزي : (طرمبة) (٦١) و لم يعلق عليها بشيء .

وقال : خير الدين الاسدي ، قرية (ترنبة) في ادلب ، من الآرامية : (تورنيتا) : السروة ، كما يرى الأب أرملة . (٦٢).

ورغم التحقيق الدقيق الذي أجريته ، ودراستي المتواضعة، لقرى ولاية سرمين ، لم أقف على تاريخ لقرية الترنبا. أو لأسم مشابه لها . فهل هي : ترمبا، أم طرمبا ، أم طرأ عليها تحريف في اللفظ والكتابة ، فهل هي : طرغبا، أم ترغبا ، أم تورينمبا . وأرى - في حكم الواقع - بانها مزرعة صغيرة تابعة لولاية سرمين ، بدليل أن الكثير من أجدادنا السادة الكيالية ، سكنوا سرمين وعاشوا فيها ، وماتوا ودفنوا في أرضها ، ومنهم من انتقل الى حلب ، أو الى جهات أخرى .

وحقق العلامة المطران جرجس شلحت الصديق الوفي كلمة (الترنبا) تحليلاً علمياً وانتهى الى أنها قرية (العرش)، أو التي كانت مصيفاً للسلطان .(٦٣).

٣- الديار الحلبية

لقد عاش الجد اسماعيل المرحلة الاولى من حياته في العراق، قبل ارتحاله الى الديار الحلبية ، واستقراره في قرية الترنبا. والمرحلة الثانية : وهي التي قضاها في قريته لحين وفاته ، رحمه الله تعالى .

المرحلة الاولى :

لقد ولد الجد اسماعيل في المرحلة الزمنية الاخيرة ، في ظلّ الخلافة العباسية ، وهي فترة الانحطاط من حكمهم وتسلط المماليك على السلطة . ومن المفيد أن نشير الى أن آخر خلفاء بني العباس في بغداد ، كان المستعصم با لله والذي تولى الخلافة في سنة (٦٤٠) هـ، ومات قتيلاً بيد هولاكو يوم عاشوراء سنة (٦٥٦)هـ ، وبموته انقرضت الخلافة من بغداد . (٦٤) .

في هذه المرحلة ، وقع له أهم حدث روحي عظيم. وهو انه اثر ولادته ، أتى به والده الى حضرة جدهّ الغوث الرفاعي، فدعا له ونفخ في فمه، وقال له : نور جذبك يفيض على أهل المشرق والمغرب، اللهم بارك فيه وفي ذريته. وكان قد سبق أن بشر والده به، قائلاً : أبشرك بولد يملأ ذكره الارض ويشتهر بكرامة خصّه الله بها دون اخوته وبني عمه، ماسبقه بها أحد ، ولاتصدر لغيره الى يوم القيامة . وكان له من العمر خمس سنوات حين وفاة جده ، رضي الله عنهم .

ونشأ في قرية أم عبيدة ، ودخل مدرسة اخيه نجم الدين الاخضر ، وتعلم وتفقه وتكمّل على يديه ، الى أن اصبح شيخاً عارفاً بعلوم الشريعة والحقيقة ، حينئذ امره بالترحال للديار الحلبية .

المرحلة الثانية :

وهي التي قضاها في قريته لحين وفاته رحمه الله تعالى . وأهم حدث فيها ، بعد ارتحاله عن اسرته واهله وعشيرته، وزيارته لابن عمه عز الدين احمد الصياد في قرية متكين ، وهو الذي اشار اليه بالاستقرار في قرية الترنبا والتي تقع الى الشمال من متكين وعلى مسافة (٣٢) كم وبالقرب من سرمين . وكانت القسمة الازلية بان تكون قرية الترنبا موطن : كرامة الكيل .

وفي قرية الترنبا ذاعت شهرته وظهرت انواره البارقة وكراماته واحواله الخارقة ، حيث نشر اعلام الطريقة ، واخذ عليه الجم الغفير من اكابر حلب واعيانها وتلك النواحي وخدمَة الصلحاء وتقصده الناس من الديار الشامية والاقطار البعيدة يلتمسون بركاته ودعواته فهل كانت هذه الاشارة من اخيه بالترحال ، حتى لايشاهد هجوم هولاكو وجيوشه (على بغداد وماحولها) وماالحدثوه من جرائم وويلات ذكرها المؤرخون ولاضرورة لسردها فهي معروفة ومشهورة . أم لأمر لاندركه ولانعلمه ؟

٤- المملكة الحلبية

لمحة خاطفة :

لقد قسم الأوائل بلاد الشام الى خمسة أقسام : فلسطين ، وحوران ، والغوطة ، وحمص ، وقنسرين : ومدنها العظمى : حلب ، وحماه ، وسرمين ، وأنطاكية .

أما المملكة الحلبية : فانها مملكة متسعة الى الغاية . تشمل على مدن وقلاع ، ومعاملات وقرى عديدة ....وأعظم مدنها حلب . وهي عذبة وتشتمل على سور محكم وقلعة محكمة. وبها جوامع ومدارس ومساجد ومزارات وعمائر حسنة ، واسواق وحمامات يطول وصفها ، وهي باب الملك . ومن توابع حلب ايضاً : مدينة جعبر ومدينة الرحبة ، وسيجر و (سرمين) ، واقليم الباب وأقليم كلس وعزاز وسيس . (٦٥) ..

وقد ازدهرت حلب تجارياً ، فكانت رأس الخط التجاري الذي ينتهي الى بغداد والبصرة وصارت مركز التجارة المحلية ، ومنتهى خط التجارة العالمية الممتد بين أوروبا وآسيا وهكذا تمكنت حلب من التفوق على دمشق الى حين . بينما استطاعت الاسكندرون وطرابلس أن تنتزعا من بيروت مرفأها التجاري . بل بقيت حلب حتى منتصف القرن السابع عشر ، السوق التجارية للشرق الادنى جملة ... وكان باستطاعة الشاري أن يبتاع من أسواق حلب مصنوعات العاج والحديد والنسيج المصبوغ والسجاد والخزف المطلي بالميناء (حلب ، ص: ٢١٠ و ٢٧٨ و ٣١٨ لسوفاجية SAUVAGET والدكتور فيليب حتي تاريخ سورية ولبنان ، الجزء الثاني ، طباعة دار الثقافة بيروت عام : ١٩٥٩) .

وكانت الحياة الثقافية والدينية على مستوى رفيع ، نظراً لوجود العديد من العلماء العاملين من قضاة ومفتين ومدرسين ولسنا في معرض البحث عن حلب ، فقد درس تاريخها قديماً وحديثاً ، مؤرخون وعلماء آثار و ....

ويهمنا البحث في ولاية سرمين :

وسرمين ، وقرية الترنبا تابعة لها ، كانت مركز الولاية ، وواليها جندي ، وربما كان أمير عشيرة ، ولها شهرة في التاريخ القديم ، وهي حسنة كثيرة البساتين ، وأكثر شجرها الزيتون ، وبها يصنع الصابون الآجري ويجلب الى مصر والشام ، ويصنع بها ايضاً الصابون المطيب لغسل الايدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة ، ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها . (٦٦).

وكانت بلدة عظيمة ذات اسواق ومصابن وخانات وحمامات ، وسوق الحرير مشهور في سرمين وهو وقف على جامع الكيزواني الكائن في ذيل العقبة بحلب . (٦٧) .

وسرمين موقع تجاري قديم وممر للقوافل التجارية والحجيج ، وهي في منتصف الطريق بين المعرة وحلب . وبين سرمين وحلب مسيرة يوم واحد ، وهي في طرف جبل السماق وهو جبل أعمر الارض وأعملها فلاحاً ، ومن رآه رأى الاندلس، ولم يفرق بين فلاحتها وفلاحة الاندلس. (٦٨). ومحاطة باشجار كثيفة وهي مرتع لتنزه أمراء وسلاطين حلب. (٦٩) وممر للقوافل المنطلقة من حلب الى قنسرين وهي على بعد ثلاثة فراسخ من حلب .

ومن قنسرين الى سرمين باتجاه نحو الغرب الجنوبي ، حيث تسلك القوافل الطريق التالية قنسرين، شيخ الانصاري ثم الراموسة ومنها الى خان طومان ثم الى سرمين وتقدر المسافة بثلاث ساعات . والسبب في تحول سير القوافل الى سرمين عوضاً عن الاتجاه نحو الجنوب هو أن الطريق غير آمن من اللصوص، وهم قبائل العربان التي كانت تعترض القوافل بالاذى والسلب . (٧٠)

وكانت مزدهرة اقتصادياً ومشهورة بصناعة الصابون ونسج الثياب (٧١) ومصدر اشعاع فكري في الفقه والتصوف والشعر والطب في العهد العثماني . ووصفها الرحالة الهولندي : راوولف : بانها غابة كثيفة من أشجار الفستق (٧٢) وفيها عدد كبير من الصهاريج والآبار المنقورة في الصخر بسبب عدم وجود ينابيع في هذه البقاع (٧٣) .

ومن الوفاء والاعتزاز ذكر المعمار الفنان المدعو حسن بن مفرح السرماني من أهالي بلدة سرمين ، والذي شاد مئذنة الجامع الاموي الكبير في حلب بعد خرابها وهو التحديد الذي حدث في عهد السلطان السلجوقي ملك شاه بن ألب أرسلان ونائبه في حلب سعيد آق سنقر ، وباشراف القاضي محمد يحيى الخشاب عام : ٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م (٧٤)

٥-المملكة الحلبية في حياة الجد اسماعيل :

أن الذي يهمنا في هذا التحقيق هو الحياة السياسية العامة في المملكة الحلبية في حياة الجد اسماعيل من عام : ٦٤٥ هـ حتى وفاته عام : ٦٨٥ هـ .
فالدول التي مرت على مملكة حلب بعد الامويين والعباسين :

١- الدولة الطولونية من سنة : ٢٥٦ - ٣٣٣ هـ .
٢- الدولة الحمدانية : من سنة : ٣٣٣ - ٤١٤ هـ .
٣- الدولة المرداسية : من سنة : ٤١٤ - ٤٧٨ هـ
٤- الدولة السلجوقية : من سنة : ٤٧٩ - ٧٨٤ هـ .
٥- دولة الجراكسة : من سنة : ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ (الاحتلال العثماني). (٧٥).

والسلاجقة ومعناها : القوس الجديد ، وقد حكموا على أنقاض الدولة العباسية مدة : (٢٧٠) سنة من سنة (٤١٩ هـ الى ٦٩٩ هـ) وهم (٢٠) فرعاً ، واشهرهم الفرع الزنكي (٧٦) وهم والعثمانيون من أصل واحد. وفروع آل سلجوق ، والتي حكمت حلب هي أطول الفروع عمراً . (٧٦).

ويقول (لاروس) في ذكر السلاجقة ماترجمته :
"سلالة حاكمة تركية حكمت الشرق الاسلامي من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، وشمل حكمها البلاد الآتية : ايران والعراق وسورية وارمينية وآسيا الصغرى. ثم تضعضعت في القرن الثاني عشر الميلادي، عدا سلطنة الروم وهي الوحيدة التي دامت في الاناضول حتى عام : ١٣٠٨ ميلادي (٧٧) .

وعاش الجد اسماعيل حياته الزمنية في (الترنبا) في حكم المماليك الذين حكموا مصر وسورية من عام (١٢٥٠ - ١٥١٧) م ويقابلها (٦٤٧ - ٩٢٢) هـ وعرفَ (لاروس) الفرنسي المماليك ، ماترجمته :

" سلالة حاكمة حكمت مصر وسورية من عام (١٢٥٠ - ١٥١٧)م حيث كانت السلاطين الحاكمة تنتخب من بين الجنود وخاصة من العساكر العبيد المنخرطين في الجندية (٧٨).

وخضعت بلاد الشام ومصر لدولة المماليك ، أي لدولة مماليك صلاح الدين الايوبي ولأولاده من بعده ، ويعرفون بالمماليك البحرية نسبة الى بحيرة في اراضي مصر ، وكان الباعث على تملكهم ضعف اعقاب صلاح الدين وبلوغ دولتهم طور الشيخوخة والهرم .وابتدأت دولتهم من سنة : ٦٤٨ هـ وانتهت سنة : ٧٨٤ هـ، وكانت مدتها : ١٣٦ سنة وعددهم (٢٥) ملكاً . وأعقب هؤلاء المماليك ، الجراكسة ، وابتداء سلطانهم في مصر والشام سنة : ٧٨٤ هـ وانقرضت سنة ٩٢٢ هـ ، وكانت مدتها : ١٣٨ سنة ، وعدد ملوكها (٢٣) ملكاً، واخرهم كان قانصوه الغوري وقتل في مرج دابق ، ثم دخل السلطان سليم حلب سنة : ٩٢٢ هـ. (٧٩) .

ويتضح من هذا العرض التاريخي السريع كيف تغلب مماليك الدولة الايوبية على الحكم وأصبحوا أصحاب القوة والسيطرة . وقسم المؤرخون العهد المملوكي الى قسمين رئيسين : الاول : عصر القوة والتقدم والحضارة . والثاني : عصر التقهقر والانحطاط الذي انتهى بالاحتلال العثماني لبلاد الشام ومصر .
ففي العهد الاول صَدّوا موجات التتر وتغلبوا على السلاجقة .

أما في الفترة الثانية ، اثر غزو تيمورلنك لبلاد الشام (أواخر القرن الرابع عشر الميلادي) فقد دب في حكمهم الانحطاط وخضعت الديار الحلبية الى الحكم العثماني. وظل المماليك في دولتهم طبقة مميزة ، لم يختلطوا بالشعب و لم يحاولوا ذلك، بل ظلوا هم الطبقة الحاكمة عسكرياً وسياسياً وبيدهم السلطة والحكم والسياسة ، وتركوا المناصب الدينية والقضائية لأفراد الشعب. ولانشغال سلاطينهم

بالحرب فقد أوجد المماليك منصباً مهماً كلّ الاهمية وهو منصب نائب السلطان ، ويسمى كافل المملكة. إلاأن الاقطاع كان منتشراً في دولة المماليك، والاقطاع العسكري كان الأساس. فقد اقطع سلاطين المماليك فرسانهم وضباطهم وجنودهم اقطاعات تتناسب مع اهميتهم ، واصبحت طبقة عسكرية حاكمة هي الفئة المقطعة ، وبقية الشعب تقدم الفائض من الحاصلات الى المقطعين، وتتفاوت عدد الاقطاعات حسب الاهواء (٨٠) .

٢- *الحياة السياسية العامة :*

لم يكن العرض الذي سبق ذكره سوى دلالة على حكم المماليك خلال حياة الجّد في قريته، وليس القصد في بحثنا هذا ، ترجمة هؤلاء وانما أردت الاشارة الى الحياة السياسية المضطربة التي رافقت حكم المماليك ، والغارات التي كان يقوم بها خصومهم وأعداؤهم على بلادهم، ورد المماليك على من اعتدى عليهم . وكانت هذه الحروب لاتنقطع والويل للفريق الخاسر ، حيث تباح البلاد للفاتح الغازي نهباً وسلباً وتخريباً وقتلاً وسبياً، وكانت هذه الغارات لاترحم وتأخذ الاخضر واليابس ... (٨١) .

ففي عام : ١٢٥٨ م (٦٥٦) هـ، قام المغول بقيادة (هولاكو) من فارس واستولى على بغداد، وقتل الخليفة تحت سنابك خيله، وفي العام التالي احتاج الجزيرة العليا وأباد المدن في طريقه الواحدة تلو الأخرى زارعاً الهلع مما دفع السكان الى أخلاء البلاد ، قبل وصوله هائمين على وجوههم . وفي عام : ١٢٦٠م ، (٦٥٩) هـ، احتاح (هولاكو) سورية الشمالية بناء على طلب ملك أرمينيا الصغرى (هاتوم). وفي : ٢٤ كانون الثاني من العام نفسه فتح حلب بعد حصار دام عدة أيام وظلّت المدينة خلال اسبوع كامل تحت رحمة المجازر والنهب والحرائق. (٨٢) .

ولم تخل سرمين عام (٥٣٦)هـ، من غارات الافرنج الرهيبة حينما دخلوها فخربوا ونهبوا ثم تحولوا الى جبل السماق ... (٨٣) .

وقال أبو الفداء : وفي هذه السنة (٦٥٦) هـ قصد (هولاكو) ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم، وقتل الخليفة المستعصم ، ودام القتل والنهب في بغداد

نحو أربعين يوماً ، ثم نودي بالأمان. (٨٤) وليس حظ حلب أقل من ذلك فاثر استيلاء التتر على حلب قتل فيها أكثر من الذي قتل ببغداد ! (٨٥).

ومن أراد الاستزادة في ذلك تاريخياً ، فليقرأ رسالة هولاكو الى الملك الناصر صاحب حلب سنة : (٦٥٧) هـ، والتي يطلب فيها تسليم مدينة حلب، وفيها وصف رهيب لما سيحل بها في حالة عدم الاستسلام، وقد ردّ عليه الملك الناصر ، وكلا الرسالتين أثبتهما الطباخ في كتابه اعلام النبلاء، فليرجع اليهما من شاء . (٨٦) .

ونتيجة لهذه الحياة السياسية المضطربة والقلقة، معاناة شديدة في الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، وخوف ورعب ماثل أمام المواطنين ، وفقدان للمواد الغذائية وغلاء رهيب في بعضها ، وقد بيع اللحم بالرطل الحلبي بثمانية دراهم ورطل الخبز بخمسة دراهم ، ومَكّوك القمح باربعمائة درهم ، والمكوك يساوي : ٢٥٩٨٤ درهماً. (٨٧) كما زاد الغلاء الفاحش والمجاعات وأكل الناس لحوم الموتى !(٨٨).

وتتابع الاقطاع للقرى والنواحي والسلب والنهب ، حتى يئس الناس من الظلم والمعاناة. وقد قال أبو الفداء : وفي هذه السنة (٦٥٨) هـ، استقر الملك السعيد : علي بن بدر الدين لؤلؤ، في نيابة حلب ، وسار سيرة رديئة ، وكان دأبه التحيل على أخذ مال الرعية ... وهجم التتر ثانية على حلب ، وقبض عليه وهددوه بالقتل ، وشرطوا عليه أن يسلم اليهم جميع ماحصله من الأموال، فقام الى ساحة داره وحفر تحت أشجار النارنج وأخرج أموالاً كثيرة ذكر أنها كانت تزيد على أربعين ألف دينار . (٨٩)

ولم يكتف التتر بل أعادوا الكرة ثانية وقد كانت واقعة عظيمة بينهم وبين الملك المنصور : قلاوون الألفي، وكان رأس التتار : منكو تمر أخ أبغا (٩٠) فنهب البلاد وأحرق الضياع وقتل الرعية وآذى البرية ورجع الى بلاده. (٩١) ويتولى المملوك حاضرة حلب، ويتولى خارج الحاضرة نائب عنه، فهناك نيابة الكختا وكركر وبهسني، وعينتاب والراوندان والدرباك وبغراس والقصير والشغر وبكاس وشيزر. (٩٢) ومنهم أرباب السيوف خارج حلب الولاة : مثل ولاية سرمين ، وواليها في الغالب جندي، وربما كان أمير عشيرة (٩٣) وكذلك ولاية المعرة (٩٤)، وأما نيابة قلعة الروم فبمرسوم شريف (٩٥) .

٧- الناحية الجغرافية :

أما من الناحية الجغرافية ، فمملكة حلب ، تمتد سهولها من الناحية الشمالية منها حتى سهول حماه جنوباً . وليس المقصود في هذا البحث دراسة جغرافية هذه المملكة فهي معلومة لدى الجميع. أما ما يجب الاشارة اليه وبايجاز وصف المدن والقرى التي استقرت فيها فروع الجّد اسماعيل ، وهي المنطقة الشمالية الغربية من ولاية سرمين .

ففي ترحال الجّد اسماعيل من الديار الشامية باتجاه الديار الحلبية وسلوكه طريق القوافل والحجيج ، وبعد سهول حماه تمتد سهول مملكة حلب ، حيث تكون أولى محطات ترحاله، قرية (متكين) (٩٦) من أعمال معرة النعمان ، وفيها يقيم ابن عمه : عز الدين أحمد الصياد وهو الجّد الاعلى للسادة الصيادية (٩٧) وخان شيخون(٩٨) قرب متكين ، وتقع المعرة على مسافة (٢٥) كم . من متكين الى الشمال . وتمتد السهول الفسيحة من خان شيخون الى الجهة الشمالية والغربية لمملكة حلب .

والمحطة الثانية هي المعرة ، وكانت مدينة كبيرة مشتملة على كثير من المغاير.(٩٩) وكانت معروفة عند العرب بذات القصور ، ويذكر بأن اكثر أراضيها موات للخوف من الاعراب الرحل. (١٠٠).

ووصف المعرة : جمال الدين علي بن أبي المنصور بقوله : والمعرة مدينة صغيرة حسنة اكثر شجرها التين والزيتون والفستق ومنها يحمل الى مصر والشام. وبخارجها وعلى بعد فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولازاوية عليه وبلا خديم له.(١٠١). ولما مرّ الرحالة أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي في سنة (٥٨٠) هـ. في الديار الحلبية قال : ... ورأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين يوم الجمعة المذكورة بلاد (المعرة)، وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكة ، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها رزقاً. (١٠٢).

ثم يتوجه الجّد اسماعيل الى قرية (الترنبا) حيث ألقى عصا الترحال فيهـا واستقر بهـا وهي قرية في الجهة الجنوبية من سرمين وعلى بعد (٦)كـم وفي الجهـة الغربيـة مـن سراقب وعلى بعد (٥) كم عنها. وتقع في هذا السهل الفسيح حيث ينتهي في أقدام جبل الزاوية مـن الجهـة الشـرقية. وكـانت غابة مـن الاشـجار حتـى غـدت مصيفاً لسلاطين حلب .

وسرمين كانت مركز الولاية، وواليها جندي كما رأينا ، وهي حسنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها الزيتون ، وبها يصنع الصابون وكانت مزدهرة اقتصادياً . (١٠٣)

وتقع مدينة ادلب في الجهة الغربية من سرمين وعلى بعد (٨) كم. عنهـا ، وهـي ممر للقوافل التجارية وللحجيج ايضاً من النصارى والمسلمين بسـبب خلوهـا مـن الجبـال والممرات الوعرة ، وهـي ذات سـهول حمـراء وخصبـة وخضرة دائمـة . يكـثر فيهـا الزيتون وشجر الكرم والتين والعنـب، وينجـب في حقولها الحنطـة والشـعير والقطـن والسمسم وأنواع الـزروع الشـتوية والصيفيـة . (١٠٤) وتشـكل حلقـة وصـل بـين حلب وقنسرين والمعرة أو الطريق الآخر المتجه غرباً من حلـب - قنسـرين - سـرمين - ادلب ، أو يتفرع من سراقب - سـرمين الى الغرب الشـمالي باتجـاه ناحيـة الجـزر (١٠٥) الى حارم ثم انطاكية أو الاسكندرونة، أو الى الروج وبالتالي جسر الشغور . (١٠٦)

وتشتهر بخاناتها الكثيرة إلاأنها قليلة المياه وفيها حياة اجتماعية دينيـة وثقافيـة جيـدة، كما تنتشر فيها صناعة الصابون . ويتضح من كل ذلك أن ادلب موجودة منذ عهـد المماليك كبلدة عامرة (١٠٧) وصارت مركز مديرية تابعة لقضاء ريحـا، ثـم صـارت مركز قضاء وجعلت ريحا مركـز مديريـة تابعـة لهـا . (١٠٨) ولسـنا في مجـال تعداد ميزات ادلب وتاريخها وأوابدها واقتصادها ... ولكن القصـد هـو أنهـا كـانت بلـدة عامرة في حياة الجّد اسماعيل .

ولنا وقفة في تسمية ادلب . فيقول الغزي : أن الاسـم كلداني ، ويقـول الأسـدي : اسمها - كما نرى نحن - من الارامية اسوة بكل مكان عـرف قبـل الفتـح الاسـلامي مركـب من (ار) : هـواء و(د) : اداة بـين المضـاف والمضـاف اليـه ، شـأن الاراميـة ، بعدها (لب): القلب ، أي هواء القلب، أي ينعش القلب. وحقيقتهـا كذلـك . وقـد

تواتر عن ثقات اهلها انها كانت تدعى (وادي لب). وضبطها الاستاذ الشيخ شعيب الكيالي في بعض مؤلفاته بالذال المعجمة (اذلب).(١١٠). ويقوم جبل الزاوية جنوبي ادلب، وفيه بلدة ريحا ويمتد حتى سهول معرة النعمان .

وفي هذه السهول الواسعة الخضراء والاشجار المثمرة الجميلة تقع قرية (الترنبا) وكتبها الغزي (طرمبة) (١١١).

ولهذه الاسباب المذكورة نستطيع أن ندرك سر استقرار الجد : اسماعيل الكيالي الرابع في ادلب واليه تنتسب الاسرة الكيالية في ادلب وكان يقيم في الزاوية الكيالية فيها وهو مولود في قرية (كفر دريان) ودفن زاويته في ادلب عام : ١١٦٣ هـ، و ١٧٥٠م (١١٢).

الفصل السابع

كرامة (١١٣) الكيل

١- البشرى بها قبل ولادته :

قال صاحب روح الاكسير : ..... وان سيدنا السيد أحمد الرفاعي الكبير ، قال يوماً للسيد علي (مهذب الدولة) أبشرك بولد يملأ ذكره الارض ويشتهر بكرامة خصه الله بها دون اخوته وبني عمه، ماسبقه بها احد ولاتصدر لغيره الى يوم القيامة .

وهي كرامة الكيل واشتهاره بها شرقاً وغرباً، وهي كرامة عظيمة ماسبقه بها احد قبله ولابعده. (ص:٣٥).

٢- الدعاء له بعد ولادته :

ثم أنه لما ولد (ر) أتى به والده الى حضرة جده الغوث الرفاعي فدعا له ونفخ في فمه وقال له : نور جذبك يفيض على أهل المشرق والمغرب اللهم بارك فيه وفي ذريته فأثرت دعوة جده بان جعله الله مجذوباً (١١٤) من صغره عن الدنيا، ونشأ عارفاً بأحكام الكتاب والسنة وتفقه على مذهب الشافعي، وأخذ التصوف وعلم الطريقة، ولبس الخرقة الرفاعية عن أبيه وجده، وتكمل على يد أخيه شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة القطب الامجد نجم الدين أحمد، فقام بها واذن في ترحاله الى الديار الحلبية واستقر بقرية من قرى سرمين يقال لها (الترنبا) .

لقد دعا له جده السيد احمد الرفاعي الكبير وكان وليداً، ونفخ في فيه ، حيث لقنه الاسرار الالهية ، وخاطبه قائلاً : نور جذبك يفيض ... اللهم بارك فيه وفي ذريته ... ولنا وقفة في قول جده له : نور ، فالنور في اصطلاحات الصوفيين هو: نور الانوار، وهو الحق سبحانه وتعالى . وأنه تعالى النور ولانور سواه، وانه كل الانوار ، وانه النور الكلي وحده لاشريك له . وقال تعالى : الله نور السماوات والارض، (سورة النور، الاية ٣٥) فالنور الحق هو الذي بيده الخلق والامر ، ومنه الانارة اولاً، والادامة ثانياً، فلاشركة لأحد معه في حقيقة هذا الاسم ولافي استحقاق هذا الاسم إلامن حيث تسميته به . ويتفضل بفضل المالك على عبده اذا اعطاه مالاً ثم سماه مالكاً. واذا انكشف للعبد هذه الحقيقة علم انه وماله لمالكه على التفرد ، لاشريك له فيه اصلاً البتة . (١١٥).

وقد خص الله عز وجل الانبياء وبعض الاولياء بالروح القدسي وجعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده. قال في التنزيل العزيز : **(وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وانك لتهدي الى صراط مستقيم)** . (سورة الشورى – الآية:٥٢)

وفي الاولياء من يكاد نوره يشرق حتى يكاد يستغني عن مدد الانبياء. وفي الانبياء من يكاد ضوؤه يستغني عن مدد الملائكة ، وهو الروح القدسي النبوي المنسوب الى الاولياء ، اذا كان في غاية الشروق والصفاء .(١١٦). ولما دعا القطب الرفاعي للجد اسماعيل توسل بجده الاعظم محمد (صلعم) وهو السراج المنير بان يهب الله عز وجل نورا لهذا الوليد من عظيم انواره ليكون صاحب شأن في مستقبل ايامه، وهو نفسه الذي بشر به قبل ولادته، وأنه سيملأ ذكره الارض ويشتهر بكرامة خصه الله بها، ماسبقه بها احد، ولاتصدر لغيره الى يوم القيامة. فاذا كان منبع الانوار كلّها من النور الاول الحق، كما سبق، فباحري أن يعتقد كل موحد أن " من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور" (١١٧).وقوله عليه الصلاة السلام: ان لله سبعين حجاباً من نور وظلمة، وانه لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره. والحديث رواه مسلم في صحيحه بلفظ: ان الله لاينام ولاينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع اليه عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار، حجابه: نور لو كشف طبقها، لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره واضع يده لمسيء الليل ليتوب بالنهار، ومسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها . (١١٨).

ثم اضحى الجد بحذوباً عن الدنيا. ويقول: سري السقطي : ان الله تعالى سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن اصفيائه واخرجها من قلوب وداده لانه لم يرضها لهم (١١٩). وأصبح عارفاً بالله والعارف هو من أشهده الله ذاته وصفاته واسماءه وافعاله، فالمعرفة حال تحدث عن شهوده.(١٢٠)، وفي اصطلاح الشيخ محي الدين بن عربي: هو من اشهده الرب عليه. (١٢١) .

والمعرفة بالله: صفة من عرف الحق سبحانه باسمائه وصفاته، فلا يطلقون العارف إلاعلى من توالى عليه العلم بالله وصفاته والنظر في مصنوعاته، وغلب عليه ذلك بحيث صار حالاله، حتى قالوا: من عرف الله كلّ لسانه، أي شغلته معرفته بالله

تعالى عن ذكر غيره. ويقول ابو عثمان سعيد المغربي: العارف تضيء له انوار العلم، فتبصربه عجائب الغيب. (١٢٢)

وان الله سبحانه وتعالى خص المؤمنين ببصائر وانوار بها يتفرسون، وهي في الحقيقة معارف. وعليه يحمل قوله (صلعم) فانه ينظر بنور الله، أي بعلم وبصيرة يخصه الله تعالى بهما، ويفرده بهما من دون اشكاله. وعلى هذا فان ارباب البصائر ماراأوا شيئاً الآراأوا الله معه. وربما زاد على هذا بعضهم فقال :

مارأيت شيئاً إلارأيت الله قبله، لأن منهم من يرى الاشياء به ، ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالاشياء. والى الاول الاشارة بقوله عز وجلّ: أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، (سورة فصلت، الأية: ٥٣)، والى الثاني الاشارة بقوله عز وجلّ : سنريهم اياتنا في الافاق ، (سورة فصلت، الاية: ٥٣) فالاول صاحب مشاهدة ، والثاني صاحب استدلال بآياته عليه ، والاول : درجة الصديقين ، والثاني : درجة العلماء الراسخين. وليس بعدهما إلادرجة الغافلين المحجوبين. (١٢٣).

قال أحمد بن مشروق : دخلت على شيخ من اصحابنا ادعوه فوجدته على حال رثة، فقلت في نفسي، من أين يرتفق هذا الشيخ ؟ فقال : ياأبا العباس، دع عنك هذه الخواطر الدنيئة فان لله الطافاً خفية.(١٢٤).

وقال الزبيدي: كنت في مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء فلم يفتح علينا بشيء أياماً فاتيت ابراهيم الخواص لأساله شيئاً. فلما وقع بصره عليّ قال: الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله تعالى أم لا؟ فقلت بلى، فقال : اسكت ولاتبدها لمخلوق، فرجعت ولم ألبث قليلاً حتى فتح علينا بما فوق الكفاية . (١٢٥).

فلهذا قيل: فراسة المريدين تكون ظناً يوجب تحقيقاً، وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة ، فاذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها الى المشاهدة.(١٢٦). وقال بعضهم في قوله تعالى أو من كان ميتاً فاحييناه، (سورة الانعام، الاية: ١٢٢)، أي ميت الذهن فاحياه الله تعالى بنور الفراسة وجعل له نور التجلي والمشاهدة لايكون كمن يمشي بين أهل الغفلة غافلاً (١٢٧). .

أليس السبب البعيد لكرامة الجَد، هو ذلك البيت الديني والروحي الذي عاش وترعرع فيه. والجّو العام للاسرة الرفاعية في اذكارها وأورادها وصلواتها وادعيتها، وهي محاطة ببركات جده لأمه القطب السيد أحمد الرفاعي .

ولاشكّ بأن السبب القريب هو انقطاعه لوحده في تلك القرية مخلصاً في عبادته، داعياً الى الله تعالى في سره وعلانيته، منقطعاً للعبادة لاناصر له الارب الارباب .

هذه الاسباب والصفات ، هي التي هيأت كرامة الكيلي، وقد تمت على يديه بأمر من الله جلّ وعلا.

٣-واقعة اشتهاره بالكيل

قال صاحب روح الاكسير: ومن مناقبه (ر) اشتهاره بالكيل. الكرامة العظيمة التي بّشر بها والده جّده الغوث ، وهو انه كان زاهداً في دنياه لايدخر قوتاً، واشتهر بالعبادة والنسك والصلاح. وكان بعض عرب عنزة، يأتون في كل عام بشترون القمح من القرية المذكورة ، فأتوا على حسب عادتهم ليشتروا منها وكانت السنة مجدبة جداً، فأتى بعض جهاّل القرية وقالوا للوفد المقبل ادخلوا هذه الدار تجدوا مطلوبكم ، فدلّوهم على منزل الشيخ قدّس سرّه، فدخلوا وطلبوا شراء القمح، ففهم الشيخ ذلك، وأن المسبب لدخولهم بعض أهل القرية،وعلم أن جماعة أهل القرية ليس عندهم قمح يكفي الوفد هذا، فقام وفتح باب البيت وكان مغلقاً، فخرج القمح مدلقاً من الباب . فقال لهم هياً خذوا مطلوبكم، قدموا اكتالوا لبعضكم بعضاً ماتريدونه فقالوا نحن لانكتال بايدينا، بل صاحب الرزق يكتال لنا أو يأمر احداً يكتال، ورموا الكيل في الارض، فصاح سيدنا اسماعيل في الكيل وقال: اكتل يامبارك باذن الله وبهمة جدي ابي العلمين فصار الكيل يكتال بنفسه وهم يفتحون رحالهم، وليس عليهم الأمسك الرحال وتقديمها.الى أن اكتفى القوم باجمعهم، فصاح في الكيل : قف يامبارك فوقف. فاقبل اهل القرية يقبلون اقدامه على ماشوهد من هذه الكرامة العظيمة، واشتهر بالكيال، قدّس سرّهّ العزيز. (١٣٦).

وقال صاحب عقود اللالي: حين ترجم القطب اسماعيل ، بسبب شهرته بالكيال: أن ألبغا ALBAGA مملوك الملك جاء الى قرية الترنبا لاستيفاء حقوق السلطان وكانت سنة ممحلة، فاكثر الجور على أهل الترنبا. فناداه السيد اسماعيل وقال له ياهذا ، كم تريد من اهل القرية ، فقال كذا إردب من القمح. فأمر الشيخ اتباعه أن يسدوا فم الخليات التي يوضع فيها القمح فسدوها ، والعامل الظاهري ينظر، ثم امر بفتح فم الخليات ففتحت، فتدفق القمح حتى ملأ المكان، وأخذ الكيل بيده وضربه بالقمح وقال: اكتل باذن الله فصار يكتال بنفسه حتى وفى المطلوب. فكشف العامل الظاهري رأسه امام الشيخ وقبّل الارض. وبعد ذلك، اشتهر بالكيال ، رضي الله عنه. وتوفي وله من العمر ١١٢ سنة (١٣٧).

(وهو التحقيق الذي أخذ به العلامة الطبيب عبد الرحمن الكيالي ، رحمه الله) في الشجرة الموحودة لديه).

ويتضح بان الكرامة كانت لواقعتين متصلتين:

الأولى: كرامة تدفق الحبوب من الخليات وملء هذا العدد الكبير من الاوعية .

الثانية: كرامة الكيل. وقد باشر القيام بمهمة الكيل، الكيل بنفسه دون مساعدة خارجية من أحد ، حتى وفىّ المطلوب .

ولما كان اختلاف السبب بين الواقعتين والروايتين، لايغير شيئاً في النتيجة التي انتهت اليها كرامة الكيل ، وصحة وقوعها .

ولما كان لكل نتيجة عظيمة سبب عظيم، ولو لم يكن السبب الدافع لها، يستحق هذه الكرامة، لما أقدم على فعلها ، ملهماً من الله وباذنه، وهو الولي العارف بالله . والسبب العام واضح لاغموض فيه ، وهو شدة الحاجة الى القمح ، في سنة جدباء ممحلة ، فسواء أكان ذلك مطلباً للاهلين الجائعين ، الذين استجاروا به، فلبى الجد توسلاتهم وقدم لهم العطاء الكثير، وبفضل رضاء الله وكرمه، حتى اكتفى القوم بأجمعهم، ولم يتناول أجراً ولاقيمة لما اعطاه الله من فضله ، حتى أقدم من حضر من الناس يقبلون إقدامه على ماشوهد من هذه الكرامة العظيمة ، قدس سره ..

أم كان السبب استيفاء حقوق السلطان ، في مثل تلك السنة، وظلم المماليك وتعسفهم في الجور والضغط على الرعية، فان النتيجة في كرامة الكيل لاتتغير إطلاقاً

٤-تاريخ وقوع الكرامة :

ليس لدي دليل قاطع على تاريخ هذه الكرامة، وأرى أن الاحتمال وارد جداً ، في عام (٦٨٠ هـ - ١٢٨٠م) حينما أرسل ألبغا ابن هولاكو ، مملوكه لجمع الاموال تهيئة واستعداداً لتجهيز جيش ترأسه مع أخيه منكو تمر اثر دخولهم حلب. حيث جمعوا العدد والعُدَدَ من الرجال والاموال بالقوة والتسلط والتعسف .

ويحدثنا التاريخ بان هؤلاء المغول كانوا لايرحمون أحداً. ففي عام (٦٧٩هـ) كانت واقعة عظيمة ، بين التتار ، اثر عودتهم الى حلب، وبين الملك المنصور قلاوون الألفي، وكان على رأس التتار منكوتمر أخوأبغا، فنهب البلاد وأحرق الضياع وقتل الرعية وآذى البرية ، ورجع الى بلاده . ثم اعادوا الكرة عام (٦٨٠هـ) ، ودخل أبغا

ابن هولاكو ومعه أخوه منكوتمر، حلب ثم اتجهوا نحو حمص ، وكانت المعركة بين الرستن وجامع خالد ابن الوليد وانكسر التتار .... (١٣٨).

اليست هذه الكرامة العظيمة سبباً في انقاذ اهل قريته ، ومن جاورها من القرى المحيطة بها ، ودفع العذاب عنهم ، بفضل ولاية الجّد اسماعيل ، قدسّ سرّه .

٥-حساب عمر الجد اسماعيل (ر) سنة وقوع الكرامة :

لقد ارتحل الجّد الى الديار الحلبية ، وزار ابن عمه القطب عز الدين احمد الصياد في قريته (متكين) بعد عام (٦٤٣هـ - ١٢٤٥م) قطعاً، واحتمال ارتحاله ربما كان قبل وفاة اخيه نجم الدين الاخضر، عام (٦٤٥هـ - ١٢٤٧م) أي كان عمره (٧٢) عاماً. فتكون اقامته في (الترنبا) حوالي (٤٠) عاماً. (١٣٩).

فاذا كانت كرامة الكيل ، على احتمال ماأوردته في التحقيق أعلاه، أي عام (٦٨٠)هـ (١٢٨١)م ، فيكون عمر الجّد اسماعيل (١٠٧) سنوات ، أي قبل وفاته بخمس سنوات . قدسّ سرّه. (رأي شخصي).
والله أعلم .

٦-حياته الاجتماعية والفكرية :

لم يكن الجد اسماعيل مقتصراً على الرياضات الالهية ، وانما كان له مريدون وتلامذة ياخذون العلم عنه وكان يزوره صدر الدين علي ابن ابن عمه عز الدين أحمد الصياد في (الترنبا) وكان مشتهراً بعلو الهمة وله المناقب (١٤٠) الجمّة وأخذ عليه الجّم الغفير من أكابر حلب ، واعيانها وتلك النواحي ، وخدمَهُ الصلحاء وتقصدّه الناس من الديار الشامية والاقطار البعيدة .

وقد ألّف به وبمناقبه : الشيخ زين الدين الشافعي الخليلي، قاضي حلب، رسالة اسمها: (تحفة الذهب في رحلة الشيخ اسماعيل الكيال الرفاعي الى حلب).

ويتضح من عنوان هذه الرسالة أن مؤلفها الخليلي كان كتبها بعد كرامة الكيل لأننا ذكرنا ان شهرته (الرفاعي) قبل كرامة الكيل.

ورغم التحري والبحث الدقيق، لأعوام كثيرة ، لم أتوصل الى هـذه الرسالة لأحصل على مضمون ماسطّر فيها .

وكان الخليلي من تلاميذ صدر الدين علي ابـن السيد احمد الصياد (١٤١) قبل ان يكون قاضياً، فهل كان يتردد على الترنبا لزيارة القطب اسماعيل جدنا ، وهو في سن الشباب ؟ كما هو واضح من ترجمته وانه كتب رسالته : تحفة النهب، بعد وفاة جدنا على الارجح (١٤٢). لانه تولى القضاء في حلب سنة (٧٠٠ هـ و ١٣٠٠ م) وبقي قاضياً ثلاثا وعشرين سنة، وتوفي سنة (٧٢٤هـ و ١٣٢٣م). وعلى هذا فانه كتب رسالته ، وأرخ فيها وفاة جدنا في عام (٦٨٥ هـ و ١٢٨٦م) بعد عام (٧٠٠ هـ) ، أي بعد أن تولى منصب القضاء (١٤٣) ومن المؤسف اننا لم نجد هـذه الرسالة لدراستها ومعرفة مضمونها واسبابها ومسبباتها والوقائع التي حدثت فيها ونتائجها .

كما أن ابا الحسن الواسطي، صاحب كتاب روح الاكسير ، كان تلميذاً لصدر الدين الصياد وعاصر الجد اسماعيل وهو من المعمرين، وكتب كتابيه روح الاكسير وعقد اللجين مؤرخاً فيهما الجد اسماعيل ، قدس سره. (١٤٤). فهل كان الخليلي والشيخ المعمر ابو الحسن الواسطي والشيخ ابو بكر الانصاري من مريدي وتلامذة الجد اسماعيل ؟.

مناقبه : كثيرة جدا، ونورد بعضها :

قال صاحب روح الاكسير :

١ – انه مرّ على قرية من قرى الموصل ومعه احد تلامذته ، فارسله ليشتري طعاماً من القرية ، فصارت الاولاد تضربه بالحجارة ، فمنعوه من المرور والدخول للقرية فالتفت الى جهة الشيخ وانشد قائلاً :

أتمنعني الصغار وانت فينا	مربٌ للكبيـــر وللصغير
وتاتيك البشائر كل وقت	بهمة جدك الغوث الكبير

فالقى الله محبته في قلوبهم، فسأله كبيرهم : ماحاجتك، فقال له على مراده فذهب واتاه بطعام بلاثمن .

٢- ومنها انه كان من عادته ان ينفخ على العسل ويسقيه لمن اراد الشرب. فاتاه يوماً بعض الغرباء ، ليشرب منه، ونفسه تأبى العسل، ففهم الشيخ منه ذلك ، فأمر بماء في قدح بيده، فاتى الرجل بالماء فنفخ عليه وسقاه له، فوجده عسلاً لذيذ الطعم، لايشبه طعم العسل الموجود . وصارت نفسه تقبل العسل ببركة سيدنا ، قدّس سرّه .

٣- ومنها ركوب الجدار حالة ولَهه والمشي به، وهي قصة مشهورة ، حينما اختلف اثنان من اهالي قريته على حدود ارض يدّعي كل منهما بان الاخر تجاوز على حـد ارضه دون حق. وكاد الجدل بينهما يؤدي الى عواقب وخيمة، وقبل الطرفان بحكم سيدنا الشيخ، فركب على جدار داره، ومشى به الجدار بين حدى ارض المتخاصمين، فقبلا بحكمه دون جدال ، قدس سره .

٤- ومنها معافاة المرضى والزمنى على يديه.

واعتقاد الناس به مما يطول شرحه . (١٤٥).

الهوامش .

١- لسان العرب ابن منظور. ص ٧٥٥. طبع دار صادر - بيروت، عام ١٣٧٥ - ١٩٥٦ .

٢- بن الاثير، ولسان العرب. ص: ٢٣٣ .

٣- الشجنة الرحم المشتبكة: قال أبو عبيدة : يعني قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق. وأصل الشجنة بالكسر والضم : شعبة من غصن من غصون الشجرة. وقيل الشجنة الصهر. ابن منظور : ص: ٢٣٣ .

٤- ويسمى باللغة الفرنسية La Genealogie وباللغة الانكليزية Genealogy وقد جاء في معجم La Rousse الفرنسي تعريف لهذا العلم، ما تعريبه: علم غايته التحري عن أصل الأسر وفروعها ودرجات القرابة بينها. طبع: ١٩٩٣. ص: ٤٧٥.

٥- سورة الحجرات، الآية: ١٠ .

٦- سورة محمد، الآية :٢٢ و ٢٣.

٧- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٨- سورة الأسراء، الآية: ٣٦.

٩- أنسأ الشيئ: أخره. ويقال أنسأ الله أجله وفي أجله، أي أخره. المنجد، ص:٩١٠ للبستاني، طبع المطبعة الكاثوليكية، بيروت: ١٩٤١.

١٠- سورة الحجرات، الاية ١٣. تفسير الامامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع المطبعة الادبية، ميدان الازهر ، مصر، لم يذكر تاريخ الطبع .

١١- مقدمة ابن خلدون، ص: ١٥٣، طبع مطبعة المعارف المصرية العلمية، لم يذكر تاريخ الطبع .

١٢- الفريدة الدرية شرح القصيدة الهدائية، ص٦٨، للفقيه العلامة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد طاهر الكيالي الرفاعي الادلبي شيخ السجادة الصيادية بادلب ونقيب اشرافها ومدرسها العام والخاص، طبع المطبعة المصرية بالاسكندرية، سنة ١٣١٧ هـ. وهذا الكتاب مسجل في المكتبة الوطنية في حلب برقم ٨٢٨٠ و ٨٥٣٨ .

١٣- مهذب الدولة: لقب تطلقه الدولة العباسية وتتحفه للسادة الرفاعية، يمتاز بها منهم القائم على سجادة الارشاد في أم عبيدة بعد الامام الرفاعي الكبير، وبقيت هذه العادة الى أنفراط عقدهم من بغداد.وكذلك لقب : ممهد الدولة .

١٤- فاطمة بنت القطب أحمد الرفاعي زوجها أبوها بابن أخته وابن ابن عمه: علي (مهذب الدولة) فاعقبت له ثلاثة أولاد ذكوراً وبنتاً واحدة، وهم ابراهيم الاعزب ونجم الدين الاخضر واسماعيل (المعروف بالكيال) دفين الترنبا، وخديجة. وزينب بنت القطب أحمد الرفاعي زوجها ابوها بابن أخته وابن ابن عمه: عبد الرحيم (ممهد الدولة). الفريدة الدرية.ص:٣٨.

١٥- مدينة بلخ: تقع في مستو من الأرض وبينها وبين أقرب جبل اليها اربعة فراسخ والمدينة نحو نصف فرسخ في مثله. ولها نهريسمى (دهاس) يجري في رياضها، وهو نهر يدير عشر أرحيه والبساتين في جميع جهات بلخ تحتف بها، وينتج الأترج وقصب السكر ، ويقع في نواحيها الثلوج. وقال في اللّباب: بلخ من خراسان فتحها الأحنف بن قيس التميمي زمن عثمان ، وخرج من بلخ عالم لايحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء. (لأبي الفداء). من كتاب مجاني الادب في حدائق العرب، للأب لويس شيخو اليسوعي، الجزء الاول: ١٩٤ طبعة ١٨، مصححة، طباعة مطبعة الأباء اليسوعيين سنة: ١٩٠٠.

والفرسخ كلمة فارسية وهي تقريباً ثمانية كيلو مترات، المنجد ص:٦٣٥، الأب معلوف اليسوعي، طبع: ١٩٤١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت .

والمزار الشريف (MAZAR - I - SHARIF) مدينة عامرة ، ومركز مقاطعة بلخ. وتقع بلخ في شمالي افغانستان وهي مجاورة لأوزباكستان وتركمانستان الروسيتين. وتقع مدينة المزار الشريف في أسفل السفوح الشمالية لسلسلة جبال (هندوكوش) وعلى بعد (٣٨٦) متراً منها، في منطقة واسعة مروية من مياه بلخ، ويزرع فيها الحبوب والقطن والنباتات الاخرى ، مزودةً المصانع الغذائية والنسيجية (القطنية) والتي تطورت بجانب الصناعة الحرفية التقليدية للسجاد. وجامعها الكبير من أجمل جوامع البلاد، ويحوي بقايا رفات من نسل (سيدنا علي صهر الرسول (صلعم)، والمدينة مركز للحج وسوق كبيرة للفراء. وتوسعت المدينة وتضاعف عدد سكانها في بضع سنوات وبتأثير العملاق المجاور لها، فشيدت الابنية الحديثة، وكثرت حركة السير فيها من شاحنات وسيارات جيب من صنع سوفيتي، وبلغ عدد سكانها عام : ١٩٦٦: ٤١,٠٠٠ نسمة (ويرجح عدد نفوسها عام : ١٩٧٠، ١٠٠,٠٠٠ نسمة).

تعريب عن الفرنسية، الموسوعة الجغرافية لجميع بلاد العالم، والمسماة (المليون) ص: ٤٨٠ و ٤٨٦، الجزء ٦، طبع عام : ١٩٧١ مؤسسة: GRANGE BATELIER INSTITUTO GEOGRAFICO DE AGOSTIN - I, NOVARE, PARIS

١٦- قال في تقويم البلدان: سميت واسط لتوسطها بين مدن العراق اذمنها الى البصرة خمسون فرسخاً ومنها الى الكوفة خمسون فرسخاً ومنها الى الاهواز خمسون فرسخاً ومنها الى بغداد خمسون فرسخاً، وهي على جانبي دجلة بينهما جسر من السفن. وقال في المشترك وهي من بناء الحجاج اختطها بين الكوفة والبصرة في سنة اربع وسبعين من الهجرة وفرغ منها في سنة ست وسبعين . صبح الاعشى للقلقشندي، الجزء الرابع، ص: ٣٣٥، طبع القاهرة: ١٩١٤ - ١٣٣٢ هـ .

١٧- بهجة الحضرتين، ص:١٨ لأبي الهدى الصيادي طبع مطبعة النهضة العربية، حلب لم يذكر تاريخ الطباعة.

١٨- تنوير الابصار، لأبي الهدى الصيادي، ص: ٤١، طبع مصر، مطبعة محمد مصطفى سنة ١٣٠٦ هـ.

١٩- تفقه الرجل/ تعلم الفقه وتعاطاه، المنجد، ص:٦٥١.

٢٠- الشيخ: الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب. وقيل هو شيخ من خمسين الى اخره وقيل هو من احدى وخمسين الى آخر عمره، وقيل هو من الخمسين الى الثمانين. لسان العرب لابن منظور، ص: ٣١ .

٢١- أبي الحسن الواسطي، مخطوط .

٢٢- الرسالة القشيرية، لعبد الكريم القشيري النيسابوري، ص:٥٦٠، تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي ، طبع دار الخير، دمشق، سنة ١٤٠٨هـ و ١٩٨٨م.

٢٣- منجد الطلاب ص: ٤٨٧، طبع سنة: ١٩٤١ .

٢٤- مقدمة ابن خلدون، ص: ٥٥٨، طباعة مطبعة المعارف العلمية بمصر، لم يذكر تاريخ الطبع .

٢٥- لطائف المنن، لابن عطاء الله السكندري، ص:١٢٩.

٢٦- سورة الأعراف، الآية :٣٢.

٢٧- ابن خلدون، المقدمة، ص: ٥٦٠ .

٢٨- هو : ابو محمد رُوَيمْ بن أحمد، بغدادي من أعظم مشايخ الصوفية كان فقيهاً و مقرئاً، توفي: ٣٠٣ هـ و ٩١٥م، القشيري، ص: ٣٩٠.

٢٩- د.عبد الحليم محمود، ابي الحسن الشاذلي، ص: ١٢٥.

٣٠- الفريدة الدرية، ص:١٨.

٣١- الشيخ السراج الطوسي: اللمع في التصوف، ص:٤٧ .

٣٢- الفريدة الدرية، ص: ٦ و ٦١ و ٦٥.

٣٣- د. عمر دقاق، بحث منزلة العدد (٧) في الفكر العربي. مجلة عاديات حلب، ص:٩٦ سنة ١٩٧٥، طبع جامعة حلب. المجلد الأول .

هذه الأسماء أي: القطب والغوث والأبدال والنقباء والنجباء والعمد والأخيار لها وجود ولها صفات ولها سند في الشرع، وقد ألف خاتمة المحققين العلامة محمد أمين عمر عابدين، رسالة خاصة في هذا الموضوع سماها: (اجابة الغوث ببيان حال النقباء والنجباء والابدال والاوتاد) ذكر فيها كل بحث يتعلق في هذا الموضوع بما فيها الادلة والاحاديث. الرسالة، ص: ٢٦٤ - ٢٨٢، بجلة نهج الاسلام عدد (٥٢) لسنة: ١٤، ذي الحجة ١٤١٣ هـ وحزيران ١٩٩٣ م، ص: ١٧٣، طباعة الجمعية التعاونية للطباعة بدمشق.

٣٤- تنوير الابصار، ص: ٣٦،

٣٥- أن المعارف: أي معرفة العارفين النفس .

٣٦- الرسالة القشيرية: ص: ٨٢.

٣٧- د. عبد العليم محمود، ص: ٢٠٣، في كتابة عن الشاذلي. وأنظر اذا شئت : تفسير القرآن: للشيخ محمد متولي شعراوي، ص: ٤٠، طبع اخبار اليوم : ١٩٩١، مصر

٣٨- الغبوق: مايشرب في العشي، وهو خلاف الصبوح، المنجد ص: ٥٩٧.

٣٩- حديث صحيح متفق عليه .

٤٠- تفسير الجلالين : ص:٣١٨.

٤١- كناني دئلي صحابي، من الشعراء القادة الفاتحين، توفي (٣٠ هـ و ٦٥٠م)

٤٢- راجع أن شئت: نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، للعالم الفاضل الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، الطبعة الاولى، المطبعة المحمودية بمصر، عام : ١٣١٣ هـ ص: ٢١٣ و ٢٢٧ و ٢٢٨ حتى نهاية ٢٣١.

٤٣- سبط خير البرية أبي محمد الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه راجع ان شئت: لطائف المنن، لابن عطاء الله السكندري .

٤٤- الزغل: الغش، الزغلي: الغشاش. المنجد : ص: ٣٣٣ .

٤٥- نور الابصار، ص: ٢٢٧ و ٢٢٨.

٤٦- أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ويعرف بابن الفارض وينعت بشرف الدين ويلقب : بسلطان العاشقين .

٤٧- نخ أي برك، المنجد ص: ٨٩٨.

٤٨- ابن الفارض، للدكتور محمد مصطفى حلمي، اعلام العرب، رقم (٥) ص: ١٢٨، طبع وزارة الثقافة المصرية، سنة: ١٣٨٢ هـ و ١٩٦٣م .

٤٩- بهجة الحضرتين، ص: ١٧.

٥٠-المرجع السابق، ص:١٨ وعن روح الاكسير: للواسطي، ص: ٣٢ .

٥١- هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي (١٨٨-٢٦١) هـ و (٨٠٤-٨٧٥م) كان جده مجوسياً وقد أسلم .

٥٢- الرسالة القشيرية، ص: ٣٥٦.

٥٣- روح الأكسير، للواسطي. ص: ٣٦.

٥٤- ولد في قرية (غمارة) ببلاد المغرب قريبة من سبتة عام: ٥٩٣هـ، وتوفي في حميثرا، في صحراء عذاب، في صعيد مصر عام : ٦٥٦ هـ .

٥٥- شاذلة: قرية قرب تونس .

٥٦- تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، اعلام العرب، ابو الحسن الشاذلي، الصوفي المجاهد والعارف بالله، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة : ١٩٦٧.

٥٧- تحقيق الدكتور محمد مصطفى حلمي، الجزء الاول: شرح ديوان ابن الفارض ، ص:٤، ٥ و ١٢٨ ، طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٨ رمضان ١٣٨٢ هـ و ١٣ فبراير ١٩٦٣م.

٥٨- المرجع السابق، ص: ٩٠ .

٥٩- قرية في الجهة الجنوبية من خان شيخون، هدمت و لم يبق من معالمها سوى رواق .

٦٠-انظر الخريطة .

٦١- نهر الذهب، للغزي، ص: ٥١٨، طبع المطبعة المارونية بحلب، لم يذكر تاريخ الطبع.

٦٢ موسوعة حلب المقارنة، المجلد الثاني ص: ٢٩٩، عن المشرق، سطر ٣٨، ص: ١٨٥ الطبعة الأولى، جامعة حلب، عام: ١٩٨٣ م.

٦٣- تحقيق المرحوم العلامة جرجس شلحت، في ملحق هذه الرسالة .

٦٤- النجوم الزاهرة، للتغري بردى، ص: ٣٤٨.

٦٥- مجاني الادب في حدائق العرب للأب لويس شيخو اليسوعي، ص: ٢١٧و ٢٢٨ طبعة ١٨ مصححة، مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة : ١٩٠٠ م. في ذكر الشام، ملخصاً عن كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين

الظاهري. و(سيس) اسم بلدة شمالي كيليكية في أرمينية وتسمى اليوم كوزان باسم عشيرة تركمانية سكنت المنطقة، ص: ٤٣٣، المجلد الرابع، موسوعة حلب المقارنة، خير الدين الاسدي طبع جامعة حلب، عام: ١٤٠٣ هـ و ١٩٨٣م، الطبعة الاولى.

٦٦- الطباخ أعلام النبلاء، جزء ٢ ص: ١٣٣.

٦٧- الغزي، نهر الذهب ص: ٥٢٤، جزء١.

٦٨- الرحالة في محافظة ادلب، الأستاذ فائز قوصرة، ص:٢٧ و ٣٥و ٣٦، الجزء الأول نقلاً عن ناصر خسرو علوي في كتابه: سفرنامة. وعن شيخ الربوة المتوفى ٧٢٧ هـ ص:٣٨، مطبعة الشرق في حلب عام: ١٩٨٥.

٦٩- راجع تحقيق المرحوم المطران جرجس شلحت حول تحليل كلمة (الترمبا) في الملحق.

٧٠- الاستاذ قوصرة، المرجع نفسه، ص:٣٥.

٧١- ابن بطوطة، عام ٧٢٥هـ و ١٣٢٥م، القرن الرابع عشر. أ. قوصرة، ص:٣٩.

٧٢- أ. قوصرة، ص:٤٠.

٧٣- أ. قوصرة، ص: ٤٣. عن بوركهارد.

٧٤- البحاثة الاستاذ محمد كامل فارس، المستشار الفني لجمعية العاديات بحلب والخبير القانوني في الخطوط. في دراسة عن الخط الكوفي المورق في معالم حلب الأثرية. وقام بتحقيق علمي وفني حيث أثبت اسم المعمار الفنان كما ذكر اعلاه، خلافاً لما أورده الدكتور اسعد طلس بان اسمه عند قراءته له: حسن بن معاذ الساماني، ولقراءة الطباخ حسن بن مقرى السرميني، لخاتم المئذنة المنقوش تحت الزنار الاسفل من الضلع الجنوبية ص: ٢٦١ و ٢٦٢، مجلة عاديات حلب، الكتاب الأول: ١٩٧٥. طبع جامعة حلب. وترجمة (آق سنقر الشاهين الابيض، ولقبه: قسيم الدولة، المرجع نفسه، ص:٢٦٠.

٧٥- الطباخ، اعلام النبلاء، جزء اول ص: ٤٤٥ وجزء ثاني ص: ٤٤٠، طبع ١٩٨٨، دار القلم العربي، حلب.

٧٦- الغزي، نهر الذهب، ص: ١٢٧، الجزء ٣.

٧٧- معجم LAROUSSE الفرنسي، ص:١٦٧٣، طبع عام: ١٩٩٣.

٧٨- معجم LAROUSSE الفرنسي، ص:١٤٩٥، والمملوك: العبد، ج - مماليك، المنجد، ص:٨٦٤.

٧٩- الغزي، نهر الذهب، الجزء الثالث، ص: ٢٤٠ و ٢٤١و٢٤٢.

٨٠- الدكتور ماهر حمادة: الوثائق السياسية والادارة للعصر المملوكي، من (٦٥٦-٩٢٢)هـ أي (١٢٥٨-١٥١٦)م. منشورات الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). ص:٢٩ و ص:٥٠.

٨١ الطباخ، اعلام النبلاء، جزء أول، ص:٤٣٢.

٨٢- د.عبد الرحمن حميدة، محافظة حلب، ص: ٤٢.

٨٣- الطباخ، المرجع نفسه، جزء١، ص: ٤٣٢.

٨٤- الطباخ، جزء ٢، ص:٢٢٤ .

٨٥- الطباخ، جزء٢ ، ص: ٢٣٢.

٨٦- الطباخ، جزء ثاني، ص:٢٢٧ و ابو الفرج الملطي في تاريخه: مختصر الدول .

٨٧- الطباخ ، جزء ثاني، ص: ٢٥٤، عام ٦٦٠ هـ.

٨٨- الغزي ، النهر، ص:١٦٥ جزء ١، سنة: ٦٥٩ هـ .

٨٩- الطباخ، جزء ثاني، ص:٢٤٠ .

٩٠- ابن هولاكو، ولابد من التنويه بأن : ألبغا، نائب الملك الظاهر المملوكي، وكتبغا: ابن نوين صاحب عين جالوت، نائب هولاكو، وكريغا: صاحب (امير) الموصل ولايخفى أن جنكيزخان أعقب ابنه تولي خان، وهذا أعقب هولاكو .

٩١- الطباخ، جزء ١، ص:٢٦٩.

٩٢- القلقشندي، صبح الاعشي، جزء٤، ص: ٢٢٦، طبع القاهرة (١٩١٤م و ١٣٣٢ هـ)

٩٣- المرجع اعلاه، ص:٢٣٠.

٩٤- المرجع اعلاه، ص: ٢٣٩.

٩٥- المرجع اعلاه، ص: ٢٢٦.

٩٦- انظر رقم (٥٩) .

٩٧- سنذكر ترجمته فيما بعد .

٩٨- خان شيخون: عقدة ملتقى عدة طرق، وشيخون واقعة بين المعرة وحماه الشام معروفة بخان شيخون. واحدث بجوار الخان قصبة وهي عبارة عن (٢٠٠) بيت وبها جامع لطيف وابار ماء عذب. وسكانها جلهم من شجعان الجندية وقاية لأبناء السبيل من اضرار قطاع الطريق والعشائر المتوحشة. (انظر اذا شئت وصف الخان وتاريخه في تنوير الابصار، للصيادي، ص:٥).

ويقول الاسدي: خان شيخون (من قرى حلب) في المعرة، اسمها القديم اشخاني ASHANIE يرقى عهدها الى القرن الثاني ق.م. وهي من قرى حلب الجنوبية الكبيرة، وهي قرية أبي الهدي الصيادي (موسوعة الاسدي، المجلد٣ ص:٣٠١. ويقول الغزي:

اسمها (خالس)، جزء١ ص:٤٢١. وتقول دعد حكيم: كانت اهمية الخانات عظيمة في الحياة الاقتصادية وفي طرق المواصلات، ولذلك كان لها اهمية عظمى جعلت الملوك يحفلون بها ويهتمون بامرها ويشيدون أبنيتها. ويرغب القناصل سكني الخان، لأن القناصل هم تجار ايضا، زد عليه أنه امين بعيد عن خطر اللصوص والنهب والغارات ، فهو حصين ببنائه وبابه، ذي المتاريس والاقفال هذا في خانات البلد. أما خانات الطرق للقوافل ، فمراعي فيها أن تبتعد عن بعضها مسيرة مرحلة، والمرحلة نحو مسيرة ثماني ساعات ومراعي فيها الحصانة. (موسوعة الاسدي، المجلد الثالث، ص: ٢٩٩-٣٠٠).

والرحالة THEVENOT يعطينا تاريخ مروره في خان شيخون عام: ١٦٦٠م (١٠٧٤هـ) ويقول: يقع الخان في وسط مناطق زراعية واسعة وفيه خمسون جنديا من المشاة وعشرة فرسان لتوفير الحماية اللازمة للخان والمناطق المجاورة له من خطر الغارات البدوية. (أ. قوصرة، ص:١٩٩). وحاكمه الاداري يسمى (آغا) ويتبع ولاية باشا حلب، وانه منطقة حماية وحراسة لحدود الولاية في الجنوب الغربي (قوصرة ص: ٢٠٠).

وكلمة (آغا) تركية وتعني: ضابط في بلاط السلطان العثماني عن (لاروس الفرنسي ص:٤٦، طبع: ١٩٩٣). وفي موسوعة حلب المقارنة للاسدي ، أنها لقب احترام فوضوي التحديد، استمدها الاتراك من السلجوقيين، والسلجوقيون من المغول (رئيس، سيد، رئيس ضباط، الأخ الاكبر) ص:١٦، جزء ١ .

ويقول الرحالة POCOCK حين مروره بخان شيخون عام : (١٧٣٧م و ١١٥٠هـ) انه شاهد حوالي خمسين حصانا عربيا تتجه نحو القافلة، واعد كل منا سلاحه في حالة استعداد ، واتضح انهم من الجنود الخاضعين للسلطة لحماية القوافل (قوصرة ص:٢٠٢) ويبدو أن هذا الخان استقر على ماهو عليه معرضا لقطاع الطرق وسلب القوافل حتى عام ١٢٣٢ هـ، حيث يشير الشيخ محمد بن عمر الكيالي، حين مروره مع شيخه الاستاذ الشيخ اسماعيل الكيالي الحلبي بن الشيخ عبد الجواد، من خان شيخون، بتاريخ: ٢٥ جمادي الاولى سنة: ١٢٣٢ هـ (١٨١٧م) بانهم لم ينزلوا في الخان خيفة قطاع الطرق من العربان (عن الحلة السنية للرحلة الشامية ، مخطوط)

ويقول : ... ومررنا خارج خان شيخون وحاوزنا الخان ، ونزلنا للراحة والفطور على بئر ماء في قناة، ثم ركبنا في ذلك الأوان، ونحن في غاية الخوف من العربان .

٩٩- المعرة: سريانية، المغارة، المطران شلحت، ص:٨٠.

١٠٠- الغزي، جزء١، ص:٤١٧ .

١٠١- الطباخ، اعلام ،جزء٢، ص: ٣٠٧ .

١٠٢- الطباخ، اعلام، جزء٢ ص: ١٣٣.

١٠٣- سرمين (من قرى حلب) في ادلب من الارامية: معناها المشرومون، كما يرى الاب أرملة في المشرق، س٣٨، ص: ١٨٨، الاسدي ، الموسوعة، مجلد ٤ ص:٣٤٣.

١٠٤- الغزي، جزء١، ص: ٥١٩.

١٠٥- كورة من كور حلب، ياقوت الحموي، قوصرة، ص: ٣٦، المنطقة التي تقع فيها ناحية معرة مصرين.

١٠٦- قوصرة، جزء١، ص:٣٦ .

١٠٧- قوصرة، جزء١، ص:٧٥.

١٠٨- الغزي، جزء١، ص: ٥١٩، وربما: سريانية تعني الرائحة، شلحت، ص: ٧٨، الاسماء السريانية.

١٠٩- الاسدي. المجلد الاول ص:٩١ . الموسوعة

١١٠- الغزي، جزء١، ص:٥١٨ .

١١١- الغزي. جزء١. ص:٥١٨ .

١١٢- كفر دريان: سريانية، معناها: قرية المذري، شلحت، ص:٦٩.

١١٣- الكرامة: أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة. المنجد ص:٧٤٠.

١١٤- الجذب: مدّك الشيء. المدّ - لسان العرب ص: ٢٥٨. جذبه ضد دفعه عنه، المنجد ٨٦ .

١١٥- الامام الغزالي: مشكاة الانوار ومصفاة الاسرار، ص:٣٨، شرح وتحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان - طبع دار الايمان - دمشق، ١٤١١هـ و ١٩٩٠م .

١١٦-المرجع نفسه، ص:٧٢.

١١٧- المرجع السابق، ص:٧٤ .

١١٨- الغزالي: مشكاة الانوار، ص: ١٨، وكتاب التوصية، ابن خزيمة، ص:١٩.

١١٩- وهو ابو الحسن - سري بن المغلسّ السقطي (توفي ٢٥٣هـ و ٨٦٧م)، خال الجنيد واستاذه وتلميذ معروف الكرخي. وكان وحيد زمانه في الورع واحوال السنة وعلوم

ردب، ص:٤١٦. وفي الصفحة ٢١٥ من لسان العرب في كلمة صوع، الصاع: مكيال لاهل المدينة، يأخذ أربعة امداد. وفي الحديث انه (صلعم) كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمدّ. والمدّ: مختلف فيه، فقيل هو رطل وثلث بالعراقي وبه يقول الشافعي وفقهاء الحجاز. فيكون الصاع: خمسة ارطال وثلثا، على رأيهم، وقيل هو رطلان، وبه أخذ ابو حنيفة وفقهاء العراق فيكون الصاع: ثمانية ارطال على رأيهم .

١٣٨- أبغا: بن هولاكو، وترجمه صاحب الدّر المنتخب، والشيخ احمد الشهير بالملا في الجلد الاول من المختصر. وألبغا: نائب الملك الظاهر المملوكي.

وكتبغا: ابن نوين، نائب هولاكو في الشام، وقتل في عين جالوت. وكربغا: صاحب الموصل (امير الموصل) .

وان جنكيزخان اعقب ابنه تولي خان وهذا اعقب هولاكو ، ومات هولاكو عام ٦٦٤ هـ، وجلس مكانه ولده أبغا، ومات هذا عام ٦٨٠ هـ. (عن النجوم الزاهرة للتغري بردي ص: ٣٤٨هـ).

١٣٩ - القطب عز الدين الصياد: ابن عم جدنا اسماعيل، ولد احمد الصياد عام (٥٧٤) هـ، في أم عبيدة قبل وفاة جده لأمه الغوث الكبير القطب السيد احمد الرفاعي باربع سنين وتفقه على الكثيرين من علماء ذلك الزمان، ثم خرج من العراق عام (٦٢٢)هـ ، وحج واقام بالمدينة المنورة تسع سنين، ثم ذهب الى مصر عام (٦٣٨) هـ، واقام فيها سنتين ثم طاف اليمن ونزل الشام ودخل دمشق، ثم دخل متكين، وهي من اعمال معرة النعمان عام (٦٤٣) هـ، وعاش فيها (٢٧) عاماً، وتوفي فيها عام (٦٧٠)هـ عن (٩٦) عاما، ودفن تجاه باب الرواق في قبته. كان كثير الخشوع والحياء من الله تعالى ولم يرفع طرفه الى السماء قط حياء من الله تعالى، وعظم امره وسار في الافاق ذكره وظهرت على يديه كرامات كثيرة. (التنوير للصيادي، ص: ٤٦ و ٤٧ ، عن روح الأكسير ص:٤٣) (مخطوط). ومتكين الان خربة ولم يكن فيها سوى الرواق الصيادي بظاهر خان شيخون من الجهة القبلية، وكانت اذ ذاك قرية جامعة. (البهجة، ص ٦١) ان ارتحال الجد الى الديار الحلبية، كان باشارة من اخيه نجم الدين الاخضر، اما الاستقرار في (الترميا) فكان باشارة من ابن عمه عز الدين احمد الصياد

وربما كانت زيارات وصلات متبادلة بين متكين والترنبا، ولاسيما وان متكين كانت تحوي صلحاء الصوفية والزهاد. (انظر اذا شئت ترجمته في كتاب النفحة المسكية لعز الدين احمد الفاروثي الواسطي. ص:١٢طبع مطبعة محمد أسعد. الاستانة ١٣٠١هـ .)

١٤٠- المناقب: جمع منقبه، المفخرة، ومناقب الانسان ماعرف به من الخصال الحميدة والاخلاق الجميلة. المنجد، ص: ٩٥٠. وص: ٣٢ روح الأكسير .

١٤١- صدر الدين علي ابن السيد احمد الصياد، سبط الامام الرفاعي: ولد سنة: ٦٤٥هـ، وتركه ابوه وله من العمر خمس وعشرون سنة، تلقي الفقه الشافعي عن القاضي عز الدين محمد بن محمد الصائغ، وحضر على العلامة جمال الدين واصل الشافعي الحموي وغيرهما ورجع بعد اتقان العلوم الشرعية الى رواقه المبارك وانقطع في خلوته في متكين، وتصدر لارشاد الناس وظهر امره في الاقطار والامصار. وكان لايخرج إلاللصلاة او للذكر او لمجلس الوعظ، ثم يعود الى خلوته. وكان وقورا عظيم الهيبة لايتمكن الانسان من النظر الى وجهه الشريف لجلالة قدره، اسمر اللون مشربا بحمرة عظيم الرأس وسيع الجبهة معتدل القدّ حلوا المكالمة لين العريكة حسن الخلق... اجتمعت فيه مكارم الاخلاق. وكان هو المشار اليه في وقته بين أهل القلوب. تخرج بصحبته خلق كثير وقصد الاقطار البعيدة واخذعنه الولي المعمّر الصالح ابو الحسن الواسطي، والولي العارف با لله الشيخ ابراهيم بن احمد الرقي، والشيخ القاضي زين الدين بن محمد الشافعي الخليلي قاضي حلب وغيرهم وحسده جماعة من العلماء وانكروا عليه لما وقع منه مرة او مرتين ، انه خطا في الهواء على رؤوس الناس في حلقة ذكره حال وجده، كما وقع للشيخ العارف عبد القادر الجيلي. واستفتوا من تلميذه القاضي زين الدين عن كرامات الاولياء من خرق العوائد، كالمشي في الهواء وما أشبه ذلك أحق هي؟ فاجاب بخطه على هذا السؤال بما سنثبته في ترجمته وتوفي صدر الدين في متكين من اعمال معرة النعمان سنة: ٦٩٥ هـ، ودفن محاذيا لابيه في قبّة وعليهما صندوق واحد يشمل القبرين. (وله ترجمة عظيمة وشعر وكلام عظيم، نقلاً عن الامام الوتري، ناقلاً عن صاحب صحاح الأخبار. (التنوير، ص:٥٥ و ٥٦).

١٤٢- ترجمة القاضي الخليلي: قاضي حلب، صاحب رسالة (تحفة النهب في رحلة الشيخ اسماعيل الكياني الرفاعي الى حلب)، واسمه المجرد عن الكنية والالقاب: عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن ناصر. واسمه مع الالقاب: زين الدين أبو محمد عبد الله بن محمد الانصاري الخزرجي الشافعي. وَلي القضاء في حلب في سنة: ٧٠٠ هـ، واستمر في القضاء ثلاثا وعشرين سنة، وتوفى سنة: ٧٢٤هـ، ودفن بالمقام وبنيت له تربة من ماله و لم يعقب وارثا. (النهر للغزي، جزء ١ ص: ٢٩٧).

وسبب لقبه بالخليلي: لأن والده ولي قضاء الشافعية بالقدس الشريف، بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام. واسم والده: شهاب الدين محمد بن عبد القادر بن

ناصر الانصاري الشافعي ويعرف بابن العالمة. ولد سنة ٦٠٠ هـ وكان من الفضلاء والأدباء والفقهاء ، رحل في طلب العلم ، وولي قضاء بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام. وكانت امه عالمة كبيرة القدر وتحفظ القرآن وشيئاً من الفقه والخطب، ولولدها اشعار مليحة. روى عنه ولده قاضي القضاة زين الدين قاضي حلب. وتوفي في سنة: ٦٧٢هـ (عن كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص١٢١، طبع مكتبة المحتسب - عمان عام : ١٩٧٣ م الجزء الثاني، تحت عنوان: القضاة الشافعية بالقدس الشريف).

وجاء ذكر القاضي الخليلي، في الصحيفة (٥١٢) في الفقرة (٣١١) من الجزء الرابع من كتاب اعلام النبلاء تاريخ حلب الشهباء، لمؤلفه محمد راغب الطباخ الحلبي، عند الكلام على الحافظ عمر بن حسن بن حبيب المتوفى سنة: ٧٢٦هـ، حيث ذكر الطباخ نسب الحافظ المذكور، وقال في السطر السادس من الصحيفة (٥١٢) مايلي: وقدم حلب صحبة القاضي زين الدين الخليلي الشافعي، بعد سنة: ٧٠٠ هـ بقليل واقام بها . ولم يذكر الطباخ ترجمة للقاضي الخليلي، رغم تتبع جميع احزاء كتابه اعلام النبلاء (الطبعة الثانية نشر دار القلم العربي، حلب عام: ١٤٠٩هـ و ١٩٨٩م). ولانعرف السبب بعدم ذكر ترجمة القاضي الخليلي، مع انه توفى في حلب. وان الطباخ قد ذكر في مقدمة الجزء الاول من كتابه مايلي: وقد التزمت ان لاأذكر الا من كانت ولادته في الشهباء، او كان ممن توفي فيها. (الطباخ، اعلام ، السطر الاول، ص: ٢٨، طبعة ثانية).

فتوى الخليلي عن كرامات الاولياء: كرامات الصالحين حق أؤمن بذلك من قلب صميم ، وأعتقده اعتقادا جازما بتوفيق الله وهدايته ، وهذا هو مذهب اهل السنة ، وعليه جماهير الامة المكرمة سلفاً وخلفاً، ومصنفات الائمة الاعلام الموثوق بنقلهم المرجوع الى قولهم مشحونة بذلكَ . ودلائلهم من الكتاب العزيز والسنة النبوية كثيرة

ومن له صحبة مع القوم يرى من عجائب احوالهم وغرائب اقوالهم وافعالهم بحسب استعداده مايثلج سوائد فوائده. ولقد منّ الله عليّ بصحبة بعضهم، فعاينت من الكرامات في اقواله وافعاله شيئاً كثيراً، مع فرط قصوري وبعدي عن هذا المقام. فيا خيبة منكر ذلك، ويابعده عن قصد المسالك، وأنّى يرى ضوء الشمس فاقد البصر،

او يشاهد الاعشى نور القمر، فما في صلاح منكر ذلك مطمع، فليصوّر نفسه، بين يديه، وليكبر عليه أربع. (التنوير ص ٥٥ و ٥٦)

١٤٣- الغزي، نهر الذهب، جزء ١، ص: ٢٩٧.

١٤٤- التنوير، ص: ٤٤.

١٤٥- بهجة الحضرتين، ص:١٨ (عن روح الاكسير ص٣٧).

ثبت المصادر

١- بهجة الحضرتين - لأبي الهدى الصيادي. والحاشية للشيخ كامل الكيالي الادلبي.

٢- تنوير الأبصار - لأبي الهدى الصيادي .

٣- الفريدة الدرية - الشيخ طاهر الملاّ الكيالي .

٤- الرسالة القشيرية - للقشيري .

٥- مقدمة ابن خلدون .

٦- لطائف المنن - ابن عطاء الله الاسكندري .

٧- الشاذلي - د. عبد الحليم محمود .

٨- اللُّمع في التصوف - السراج الطوسي .

٩- منزلة العدد (٧) في الفكر العربي - د.عمر الدقاق .

١٠- نهج الاسلام - وزارة الاوقاف السورية .

١١- تفسير القرآن - الشيخ متولي شعراوي .

١٢- نور الابصار - الشيخ مؤمن الشبنلجي .

١٣- ابن الفارض - د. محمد مصطفى حلمي .

١٤- روح الاكسير - ابي الحسن الواسطي .

١٥- مشكاة الانوار - للغزالي .

١٦- نهر الذهب - الشيخ كامل الغزي .

١٧- اعلام النبلاء - الشيخ راغب الطباخ .

١٨- موسوعة حلب المقارنة - خير الدين الاسدي .

١٩- النجوم الزاهرة - لتغري بردى .

٢٠- اسماء حلب السريانية - المطران جرجس شلحت .

٢١- مجاني الادب - لويس شيخو اليسوعي .

٢٢- زبدة كشف الممالك - خليل بن شاهين الظاهري .

٢٣- الرّحالة في محافظة ادلب - فائز قوصرة .

٢٤- رحلة ابن بطوطة .

٢٥- الخط الكوفي المُوّرق في معالم حلب الاثرية - كامل فارس .

٢٦- الوثائق السياسية - د.ماهر حمادة .

٢٧- محافظة حلب - د. عبد الرحمن حميدة .

٢٨- مختصر الدول - ابو الفرج الملطي .

٢٩- صبح الاعشى للقلقشندي .

٣٠- خانات حلب - دعد حكيم .

٣١- الوصية - لأبن خزيمة .

٣٢- الحلّة السنية للرحلة الشامية - محمد بن عمر الكيالي .

٣٣- النفحة المسكية - عز الدين الفاروثي الواسطي .

٣٤- عقود اللآلي - لأبي بكر الانصاري .

٣٥- الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مجير الدين الحنبلي .

٣٦- تاج العروس - مرتضى الزبيدي .

٣٧- لسان العرب - لأبن منظور .

٣٨- منجد الطلاب - معلوف اليسوعي .

٣٩- معجم لاروس الفرنسي .

٤٠- موسوعة المليون الجغرافية العالمية .

١- الآيات البينات في اثبات كرامات الاولياء في الحياة وبعد الممات . للعلامة احمد الانصاري البرلسي المالكي .

٢- نفحات القرب والاتصال باثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال. للسيد احمد الحموي الحنفي .

٣- زوال الاشكال بثبوت كرامات الاولياء بعد الانتقال . للعلامة عبد المعطي السملاوي الشافعي .

٤- القول الجلّي في تصرف الولي. للعلامة السندوبي الشافعي .

٥- كتاب كرامات الاولياء. للعلامة احمد بن ابراهيم العجمي الشافعي ،

٦- تنبيه الاذكياء في مناقب الاولياء، وماخصهم الله تعالى به من الكرامات حال الحياة وبعد الممات . للعلامة احمد المنصور الحنفي الجندي .

٧- تنبيه الاذكياء على كرامات الاولياء . للعلامة ابي العباس احمد بن جعفر الرومي، الواعظ بالمسجد الحرام .

٨- كتاب السيوف الصقال في منكر كرامات الاولياء بعد الانتقال. للعلامة عبد الباقي المقدسي الحنفي .

٩- كتاب مزيل الشبهات في اثبات الكرامات . للعماد بن باطش .

١٠- رسالة الماء الزلال في اثبات كرامات الاولياء بعد الانتقال . للعلامة الشريف محمد البليدي المالكي

(عن كتاب طيّ السجل - للرواس - تحقيق عبد الحكيم عبد الباسط السقباني الدمشقي. ص: ٢٨٠ و ٢٨١ن الطبعة الاولى : ١٣١٩ هـ)

١١- جامع كرامات الاولياء: للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني - دار صادر - بيروت ولم يذكر فيه تاريخ الطباعة ولاالنشر . ويشتمل على العديد من الاولياء، اصحاب الكرامات .

المحتـــوى

١- المقدمة .

٢- عـرض تـاريخي : أ - الاسـباب البعيـــدة والقريبـــة لتـــأليف كتـــاب بهجـــة الحضرتين،والحاشية عليه

ب- تصحيح الخطأ وظروفه .

ج- التصديق على البهجة، وتسجيلها لدى المحاكم الشرعية .

٣- علم الانساب: فائدته، ووجوب معرفته، وصلة الرحم .

٤- القطب اسماعيل الكيالي الرفاعي .

أ- اسمه ونسبه ونشأته وحياته وترجمة والده واخوته .

ب- علم التصوف ، الولي، مقامات المقربين، وخواص الخواص معنى: الطريقة والشريعة والحقيقية .

٥- الكرامات: أ- في التنزيل العزيز والسنة المطهرة .

ب- كرامات الاقطاب .

ج- الكرامات ومعجزات الرسل .

د- كرامات الاولياء في الحياة وبعد الممات .

٦- الارتحال: أ- اشارات ارتحال الاولياء والاصفياء .

ب- اشارات مماثلة لأقطاب آخرين .

٧- الطريق الى الديار الحلبية :

أ- الوصول الى متكين، الاستقرار في الترنبا .

ب- الديار الحلبية: تاريخيا وجغرافيا، لمحة خاطفة .

ج- المملكة الحلبية في عهد الجد اسماعيل .

٨- كرامة الكيل :

أ- البشرى بها قبل ولادته، دعاءجدة له بعد ولادته .

ب- واقعة كرامة الكيل واشتهاره بها .

ج- تاريخ وقوع الكرامة، حياته الاجتماعية .

٩- الهوامش .

١٠- ثبت المصادر .